

الصليب في جميع الأديان

وواضح أن بني إسرائيل لما تدمروا على الله في البرية أديهم بالحيات السامة حينئذ استغاثوا بموسى. ولما صرخ موسى إلى الله، أمره تعالى أن يصنع حية من نحاس ويعلقها على راية وكل من ينظر إليها لا يموت بتأثير السم بل يبرأ في الحال عد ٢١: ٤-٩.

فالحية النحاسية في هذه الحالة ترمز إلى المسيح من عدة وجوه:

فكما علقت الحية النحاسية على راية هكذا المسيح عُلق على الصليب.

وكما دخلت الحية النحاسية في النار وصقلت هكذا دخل المسيح في الآلام كقول يوحنا الرائي: «وَرَجُلَاهُ شَبَهَ الْحَيَاتِ النَّحَاسِ النَّقِيَّةِ، كَأَنَّهُمَا مَحْمِيَّتَانِ فِي أُتُونٍ» (رؤ ١: ١٥).

وكما كانت الحية النحاسية خالية من السم هكذا أخذ المسيح شبه جسد الخطية وهو بلا خطية ولم يعرف خطية مطلقاً (رو ٨: ٣ و ٢ كو ٥: ٢١).

وكما لعنت الحية من الله في الفردوس هكذا «صَارَ (المسيح) لَعْنَةً لِأَجْلِنَا، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى حَشَبِيَّةٍ» (غل ٣: ١٣).

وكما وضعت الحية النحاسية تحت النظام الموسوي هكذا جاء المسيح تحت الناموس (غل ٤: ٤: ٥).

وكما كان مجرد النظر للحية النحاسية يعطي الحياة لمن هو على حافة الموت هكذا مجرد الإيمان بالمسيح يعطي الحياة الأبدية.

وكما جذبت الحية النحاسية أنظار الأمة الإسرائيلية لينالوا بواسطتها الشفاء هكذا قال المسيح «وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الْأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ» (يو ١٢: ٣٢).

٢ - أيوب

وقديماً، في أيام أيوب الذي أصابته الرزايا ومسه الضر، لما جاء إليه أصحابه ليعزوه، تنبأ اليهو عن الغدية الكريمة التي وجدها الله ليفدي بها نفس الإنسان فقال: «يَتَرَأَفُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: أُطْلِقْهُ عَنِ الْهَيْبُوطِ إِلَى الْحَفْرِ، قَدْ وَجَدْتُ فِدْيَةً. يَصِيرُ لِحُمِّهِ أَنْضَرٌ مِنْ لَحْمِ الصَّبِيِّ وَيَعُوذُ إِلَى أَيَّامِ شَبَابِهِ. يُصَلِّي إِلَى اللَّهِ فَيَرْضَى عَنْهُ، وَيُعَايِنُ وَجْهَهُ يَهْتَفِ فَيَرُدُّ عَلَى الْإِنْسَانِ بَرَّهُ. يُعْنِي بَيْنَ النَّاسِ فَيَقُولُ: قَدْ أَخْطَأْتُ وَعَوَّجْتُ الْمُسْتَقِيمَ وَلَمْ أُجَازْ عَلَيْهِ. فَدَى نَفْسِي مِنَ الْغُبُورِ إِلَى الْحَفْرِ، فَتَرَى حَيَاتِي النَّوْرَ» (أي ٣٣: ٢٤-٢٨).

وقد قال عنه: «أَمَا أَنَا فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ وِلْيِي حَيٌّ وَالْآخِرُ عَلَى الْأَرْضِ يَقُومُ» (أي ١٩: ٢٥).

نَسْلِكَ وَنَسْلِيهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكَ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقَبَتَهُ» (تك ٣: ١٥).

وهذا هو أول نبا عن المسيح وفيه إشارة لتجسده وموته ونصرته.

أما عن تجسده فيقول «نسل المرأة»

وأما عن موته فيقول «إن الحية تسحق عقبه»

وأما عن نصرته فيقول «وهو يسحق راس الحية» ومجمل النبا أن غواية الشيطان للبشر تسبب عنها تجسد المسيح وموته. وموت المسيح وسحقه على الصليب تسبب عنه انهزام الشيطان وسحقه ونقض عمله وإنقاذ البشرية منه.

فالشيطان نقض جسد المسيح والمسيح نقض عمل الشيطان.

ولهذا قال بولس الرسول: «وَلِكِنَّ الَّذِي وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ الْمَلَائِكَةِ، يَسُوعُ، نَرَاهُ مُكَلَّلاً بِالْحَمْدِ وَالْكَرَامَةِ، مِنْ أَجْلِ أَلَمِ الْمَوْتِ، لِكَيْ يَدُوقَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ الْمَوْتَ لِأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ. فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الْأَوْلَادُ فِي اللَّحْمِ وَالْدَمِ أَشْتَرَكُوا هُوَ أَيْضاً كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبَيِّنَ بِالْمَوْتِ ذَلِكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيُّ إِبْلِيسَ» (عب ٩: ١٤).

ولما أعلن الله هذا النبا لآدم أوصاه أن يتقرب إليه تعالى بذبيحة يرى آدم في صورتها الرمزية كفارة الفادي الآتي التي بمقتضاها وحدها يتم خلاصه.

وفعلاً تقرب آدم لله في الجنة بذبيحة واكتسى بجلدها (تك ٣: ٢١).

ومن بعده تقرب هايل لله بذبيحة (تك ٤: ٤).

كذلك نوح تك ٨: ٢٠ و ٢١ وإبراهيم تك ٢٢: ١٣ وإسحق تك ٢٦: ٢٥ ويعقوب تك ٣٥: ٧.

وموسى نفسه أتى من الله بشرائع مفصلة بمقتضاها تقدم الأمة اليهودية القرابين والذبائح، كالتي تقدم في السبوت والأهلة وأعياد الفصح والخمسين والمظال وغيرها، وهي كلها ترمز لموت الفادي خر ١٢ لا ١٣.

لأن هذه الذبائح ليست لها قيمة أدبية أو روحية في التقرب إلى الله إلا بمقدار مغزاها الرمزي، الذي يغذي روح مقدم الذبيحة بالرجاء والثقة في الفداء الإلهي المنتظر.

ولا يخفى أن المسيح نفسه قد صرح بأن موسى أشار لصلبه فقال: «وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبُرِّيَّةِ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الْإِنْسَانِ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ» (يو ٣: ١٤ و ١٥).

تأليف

يسى منصور

واعظ بطريركية الاقباط الأرثوذكس بالإسكندرية

الفهرست

مقدمة

نظراً لأن الكثير من غير المسيحيين أخذوا اليوم، يكتبون عن المسيح له المجد، وقد تعرض البعض لنكران صلبه، مع أن حادثة الصلب هي حقيقة ظاهرة كالشمس في رابعة النهار.

فقد رأيت بنعمة الله، أن أتخف الذين ينشدون الحق بالأدلة القاطعة عن صلب المسيح من تورا اليهود، وإنجيل المسيحيين، وقرآن المسلمين، والتاريخ القديم، حتى يعترف كل مخلص غير مكابر بأن الصلب تم فعلاً لمجد الله وفداء البشر.

فالصلب ليس بجهالة ينادي به المسيحيون، وليس بضعف وهزيمة لحقت بالمسيح، أو هوان وعار حاق بالمسيحية، إنما الصليب هو حكمة الله في الفداء، وقوة الله للخلاص، وعرش الله في المحبة، وغنى الله في النعمة، ومجد الله في الرحمة.

وأرجو ممن يظهر له الحق أن يتسلح بالشجاعة، فيؤم بهذا الحق في قلبه، ويعترف به بلسانه، فيختبر الخلاص من الخطية ونتائجها، وينطبع على نبل أخلاقي يجلب عن الوصف.

قال بولس الرسول: «فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْخَالِصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللَّهِ» (١ كو ١: ١٨).

وإني أستودع رسالتي هذه التي أكتبها تحت دم الفادي إلى قوة الله لتطبع أثرها الفعال في ضمير وحياة القارئ الكريم.

المخلص يسى منصور

١٧/٥٣ الباب الأول
شهادة التوراة

إننا إذا تصفحنا كتاب التوراة وهو الذي يقده اليهود كما تقدسه نحن المسيحيين ويعتبره المسلمون نوراً وهدى لرأيانه حافلاً من أوله إلى آخره بالنبوات العديدة الصريحة عن مجيء المسيح وصلبه ليكفر عن خطية البشر.

وهاكم أقوال طائفة من الأنبياء:

١ - موسى

في سنة ١٥٠٠ ق م كتب موسى النبي في سفر التكوين عن غواية آدم وحواء بواسطة الحية فقال إن الله قال للحية: «وَأَضَعُ عَدَاوَةَ بَيْنِكَ وَبَيْنَ الْمَرْءِ، وَيَبْنِي

وفي سنة ١٠٠٠ ق م تنبأ داود النبي في سفر المزامير عن المسيح. ومصدقا لذلك قول المسيح نفسه: «مكتوب عني في ناموس موسى والأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ» (لو ٢٤: ٤٤).

وقد كتب داود كثيرا عن آلام المسيح وموته مصلوبا.

ويكفي أن نتأمل في مزمور ٢٢ فهو يأتي بنا إلى الجلجثة ويرينا مشاهد صلب المسيح كما وقعت تماما وسجلها الإنجيل، ففي هذا المزمور نرى:

١ - صراخ المسيح على الصليب «إلهي! إلهي، لماذا تَرَكْتَنِي» (مز ٢٢: ١).

٢ - استهزاء المتفرجين عليه «كل الذين يَرُونِي يَسْتَهْزِئُونَ بِي. يَفْغَرُونَ أَشْفَاءَ وَيُبَعْضُونَ الرَّأْسَ قَائِلِينَ: أَتَكَلَّ عَلَى الرَّبِّ فَلْيُنْجِئِهِ. لِيُنْقِذَهُ لِأَنَّهُ سُرِّبَهُ» (مز ٢٢: ٧ و ٨).

٣ - تسمير يديه ورجليه «ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلِي. أَحْصِي كُلَّ عِظَامِي، وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَيَتَفَرَّسُونَ فِيَّ» (مز ٢٢: ١٦ و ١٧).

٤ - تقسيم ثيابه بين العسكر والاقتراع عليها «يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ» (مز ٢٢: ١٨).

كسر قلبه وموته «كَأَلَمَاءِ انْسَكَبَتْ. انْفَصَلَتْ كُلُّ عِظَامِي. صَارَ قَلْبِي كَالشَّمْعِ. قَدْ ذَابَ فِي وَسْطِ أَمْعَائِي. يَسِسْتُ مِثْلَ شَقْفَةٍ قُوْتِي، وَلِصِقَ لِسَانِي بِحَنَكِي، وَإِلَى تُرَابِ الْمَوْتِ تَصْعُنِي» (مز ٢٢: ١٤ و ١٥).

٦ - قيامته من الموت وظهوره لتلاميذه «أُخْبِرْ بِأَسْمِكَ إِخْوَتِي. فِي وَسْطِ الْجَمَاعَةِ اسْبُحِّكَ» (مز ٢٢: ٢٢).

٧ - انتشار كنيسته وتبشيرها بالبر الذي قال فيه على الصليب «الذُّرِّيَّةُ تَتَعَبَّدُ لَهُ. يُحِبُّهُ عَنِ الرَّبِّ الْجِيلُ الْآتِي. يَأْتُونَ وَيُخْبِرُونَ بِيَرِهِ شَعْبًا سَيُولَدُ بِأَنَّهُ قَدْ فَعَلَ» (مز ٢٢: ٣٠ و ٣١).

وإلى جانب هذا نجد مزمور ٢ يتنبأ عن اضطهاد هيرودس وبيلاطس له ويتكلم عن الفادي على أنه المسيح والملك والابن وهذه من أخص ألقابه الكريمة أع ٤: ٢٥-٢٨.

ومزمور ١٠١: ١٦ يتنبأ عن قيامته من الموت قائلا: «لَأَنَّكَ لَنْ تَتْرَكَ نَفْسِي فِي الْهَآوِيَةِ. لَنْ تَدَعَ تَقِيَّتَكَ يَرَى فَسَادًا» (ع ٢: ٢٥-٣١).

ومزمور ٢٠: ٦٩ و ٢١ يتنبأ عن عطشه وشربه الحل بيد أعدائه قائلا «أَنْتَطَوُّتُ رَهَةً فَلَمْ تَكُنْ وَمُعَزِّينَ

فَلَمْ أَجِدْ. وَيَجْعَلُونَ فِي طَعَامِي عُلْقَمًا، وَفِي عَطَشِي يَسْقُونَنِي خَلًّا».

ومزمور ١١٠: ١ و ٤ يتنبأ عن صعوده إلى السماء وجلوسه عن يمين الله ليشفع فينا على أساس كهنوته الجديد باستحقاق ذبيحة نفسه قائلاً «قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: «أَجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَغْدَاكَ مُوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ». أَقْسَمَ الرَّبُّ وَلَنْ يَنْدَمَ: «أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الْأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلَكِي صَادِقٍ».

٤ - إشعياء

وفي سنة ٧٠٠ ق م عاش إشعياء النبي الملقب بالنبي الإنجيلي. وقد تنبأ عن أهم الحوادث التي يتكون منها تاريخ المسيح من تجسده وولادته من عذراء ومعجزاته وآلامه وقيامته وامتداد ملكوته. وكان في نبواته كأنه شاهد عيان.

ولنذكر مثالا لذلك أصحاب ٥٣ وهو خاص بالآلام المسيح ولنتأمله بخشوع كلمة كلمة:

«مَنْ صَدَقَ خَيْرَنَا، وَلِمَنْ اسْتَعْلَيْتَ زِرَاعَ الرَّبِّ؟ نَبَتْ قُدَامَهُ كَفَرْخٍ وَكَعَوْقٍ مِنْ أَرْضِ يَابَسَةٍ، لَا صُورَةَ لَهُ وَلَا جَمَالَ فَتَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَلَا مَنْظَرَ فَتَسْتَهْيِهِ.

مُحْتَقَرٌ وَمَحْدُولٌ مِنَ النَّاسِ، رَجُلٌ أَوْجَاعٌ وَمُحْتَبِرٌ الْحُزْنِ، وَكَسْتَرٍ عَنَّهُ وَجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدْ بِهِ. لَكِنَّ أَحْرَانَنَا حَمَلَهَا وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهَا مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللَّهِ وَمَذْلُولًا.

وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَشْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبٌ سَلَامِنَا عَلَيْهِ، وَيُخْبِرُهُ شَفِينَا.

كُلْنَا كَعَمَّ ضَلَلْنَا. مَلْنَا كُلَّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا. ظَلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَدَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاةً، كَشَاءَ نَسَاقٍ إِلَى الدَّبْحِ، وَكَتَعَجَةِ صَامِيَةِ أَمَامَ جَارِيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاةً.

مِنَ الضُّعْفَةِ وَمِنَ الدَّبْيُونَةِ أَحَدًا. وَفِي جِبَلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قَطَعَ مِنْ أَرْضِ الْأَحْيَاءِ، أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟ وَجُعِلَ مَعَ الْأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ عَنِّي عِنْدَ مَوْتِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ عَشٌّ.

أَمَّا الرَّبُّ فَسَرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحُزْنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةً إِثْمَ يَرَى نَسْلًا تَطُولُ أَيَّامُهُ وَمَسْرَّةَ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجُحُ. مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَسْبُحُ، وَعَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبْزَرُ كَثِيرِينَ، وَأَثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا. لِذَلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الْأَعْرَاءِ وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَتَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأَحْصَى مَعَ أُمَّةٍ، وَهُوَ حَمَلَ حَاطِيَةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمَذْنُوبِينَ» (إش ٥٣: ١-١٢).

وليس هناك مجال للشك في أن هذه النبوات هي عن المسيح. لأنه هو الشخص الوحيد البار الذي مات من أجل خطايا غيره.

وقد خصص المسيح هذا الأصحاح لنفسه فقال

«لَأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَتِمَّ فِيَّ أَيْضًا هَذَا الْمَكْتُوبُ: وَأَحْصِي مَعَ أُمَّةٍ. لِأَنَّ مَا هُوَ مِنْ جِهَتِي لَهُ أَتْقِضَاءٌ» (لو ٢٢: ٣٧).

وفيلس لما قابل وزير الحبشة وسمعه يقرأ هذا الأصحاح فتح فاه وابتدأ من هذا الكتاب يشره يسوع (أع ٨: ٣٥).

ومتى البشير وهو يخبر عن معجزات المسيح أشار إلى هذا الأصحاح بقوله: «لَكِنِّي يَسِّمُ مَا قِيلَ بِإِسْعِيَاءَ النَّبِيِّ: «هُوَ أَخَذَ أَشْقَامَنَا وَحَمَلَ أَمْرَاضَنَا» (مت ١٧: ٨).

ويوحنا البشير وهو يخبر عن جحود اليهود للمسيح أشار إلى هذا الأصحاح بقوله «لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، لِيَسِّمَ قَوْلَ إِسْعِيَاءَ النَّبِيِّ: «يَا رَبُّ، مَنْ صَدَقَ خَيْرَنَا، وَلِمَنْ اسْتَعْلَيْتَ زِرَاعَ الرَّبِّ؟» (يو ٣٧: ١٢ و ٣٨).

وفوق هذا فإن بطرس الرسول وبولس الرسول قد استشهدا من هذا الأصحاح عن المسيح (١ بط ٢٤: ١٠ ورو ١٦: ١٠).

٥ - دانيال

وفي سنة ٥٠٠ ق م تنبأ دانيال النبي عن الميعاد الذي يأتي فيه المسيح ويجعل حداً للخطية فيكفر عنها، ويمنح المؤمنين به البر الأبدي، وأنه سيقطع وليس له ذنب بل يموت من أجل غيره، وأن الأمة الرومانية ستخرب أورشليم، وتدمر الهيكل، وأن المسيح سيثبت العهد الجديد، ويبطل ذبائح العهد القديم فقال:

«سَبْعُونَ أُشْبُوعًا قُضِيَتْ عَلَى شَغْبِكَ وَعَلَى مَدِينَتِكَ الْقُدْسَةِ لِتَكْمِيلِ الْعَصِيَةِ وَتَنْجِيمِ الْخَطَايَا، وَلِكِفَارَةِ الْإِثْمِ، وَلِيُؤْتَى بِالْبَرِّ الْأَبَدِيِّ، وَلِحُثْمِ الرُّؤْيَا وَالنَّبُوءَةِ، وَمَلْسَحِ قُدُوسِ الْقُدُوسِينَ.

فَاعْلَمْ وَأَفْهَمْ أَنَّهُ مِنْ خُرُوجِ الْأَمْرِ لِتَجْدِيدِ أُورُشَلِيمَ وَبَنَائِهَا إِلَى الْمَسِيحِ الرَّئِيسِ سَبْعَةَ أَسَابِيعَ وَأَتْنَانِ وَسِتُونَ أُشْبُوعًا، يَعُودُ وَيُقْتَنَى سَوْقٌ وَخَلِيجٌ فِي ضَيْقِ الْأَرْمَنَةِ. وَبَعْدَ أَتْنَيْنِ وَسِتِّينَ أُشْبُوعًا يَقْطَعُ الْمَسِيحُ وَلَيْسَ لَهُ، وَشَعْبٌ رَئِيسَ آتٍ يُحْرَبُ الْمَدِينَةَ وَالْقُدْسَ، وَأَيْتِهَآؤُهُ بِعِمَارَةٍ، وَإِلَى الْكَهَانَةِ حَرْبٌ وَحَرْبٌ قُضِيَتْ بِهَا.

وَيُنْبِئُ عَهْدًا مَعَ كَثِيرِينَ فِي أُشْبُوعٍ وَاحِدٍ، وَفِي وَسْطِ الْأَشْبُوعِ يُبْطَلُ الذَّبِيحَةُ وَالْتَقْدِيمَةُ، وَعَلَى جَنَاحِ الْأَرْجَاسِ مُحْرَبٌ حَتَّى يَتِمَّ وَيُضَبَّ الْمَقْضِيُّ عَلَى الْخُرْبِ» (دا ٩: ٢٤-٢٧).

٦ - هوشع

وهوشع النبي الذي عاش سنة ٧٠٠ ق م. تنبأ عن العصر الذي يبطل فيه الذبائح الدموية من بني إسرائيل هو ٤: ٣.

وتنبأ عن الفداء الذي سيعمله المسيح وبه ينتصر المؤمنون على الموت فقال «مِنْ يَدِ الْهَآوِيَةِ أَفْدِيهِمْ. مِنْ

«وَلَكِنْ لِأَجْلِ هَذَا أَتَيْتُ» (يو ١٢: ٢٧).

بما أن موت المسيح الكفاري هو عمله الرئيسي الذي جاء من السماء لأجله فلذلك كان المسيح يتحدث عن موته مقدماً للأحباء والأعداء في أزمته متعددة وأماكن مختلفة. مما يدل على أن الصلب لم يكن مفاجأة له بل كان يسر به ويهدف إليه.

النبوة الأولى مثال الهيكل

ففي الفصح الأول لخدمته الجهارية لما طهر الهيكل من الباعة قال له اليهود «أَيَّةُ آيَةٍ تُرِينَا حَتَّى تَفْعَلَ هَذَا؟» أجاب يسوع: «أَنْقُضُوا هَذَا الْهَيْكَلَ وَفِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ». فَقَالَ الْيَهُودُ: «فِي سِتِّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بُنِيَ هَذَا الْهَيْكَلُ، أَقَاتَتْ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ تَقِيمُهُ؟» وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَقُولُ عَنْ هَيْكَلِ جَسَدِهِ. فَلَمَّا قَامَ مِنَ الْأَمْوَاتِ، تَذَكَّرَ تَلَامِيذُهُ أَنَّهُ قَالَ هَذَا، فَأَمَّنُوا بِالْكِتَابِ وَالْكَلَامِ الَّذِي قَالَهُ يَسُوعُ» (يو ١٨: ٢-٢٢).

النبوة الثانية مثال الحية النحاسية

ولما كان المسيح يتحدث مع نيقوديموس في اورشليم أشار إلى آلامه على الصليب قائلاً «كَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هَكَذَا يُبْنَعِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الْإِنْسَانِ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ. لِأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ» (يو ٣: ١٤-١٦).

النبوة الثالثة مثال يونان النبي

ولما كان يسوع في الجليل بعد أن شفى المجنون الأعمى الأخرس سأل اليهود أن يريهم آية من السماء فأجاب يسوع وقال لهم «جِبِلَّ شَرْيُورٍ وَقَاسِقٍ يَطْلُبُ آيَةً، وَلَا تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلَّا آيَةُ يُونَانَ النَّبِيِّ. لِأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ، هَكَذَا يَكُونُ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ» (مت ١٢: ٣٩ و ٤٠).

النبوة الرابعة مثال المن

ولما كان يسوع في كفرناحوم بعد أن أطمع الخمسة آلاف بالخمسة أرغفة في بيت صيدا حول أنظار اليهود من الاهتمام بالطعام البائد إلى الاهتمام بالطعام الباقي (يوحنا ٦: ٢٧).

فقال «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ مُوسَى أَعْطَاكُمْ خُبْزًا مِنَ السَّمَاءِ، بَلْ أَبِي يُعْطِيكُمْ خُبْزًا حَقِيقِيًّا مِنَ السَّمَاءِ، لِأَنَّ خُبْزَ اللَّهِ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ». فَقَالُوا لَهُ: «يَا سَيِّدُ، أَعْطِنَا فِي كُلِّ حِينٍ

فالتوراة إذا هي التي فيها فصل الخطاب وعندما مقطوع الحق. وكل مسلم مخلص ملزم أن يتخذها المرجع الأول والصحيح لكل عقيدة سليمة كقول القرآن:

«قُلْ فَأْتُوا بِالْبُرْهَانِ فَلَتُبْلُوهُمَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَمَنْ افْتَرَى عَلَيَّ اللَّهُ الْمَكِيدُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمَظْلُومُونَ» (سورة آل عمران ٩٣: ٣ و ٩٤).

«قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تَقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ» (سورة المائدة ٦٨: ٥).

«إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ» (سورة المائدة ٤٤: ٥).

«وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْمُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِمَنْتَفِعِينَ» (سورة الأنبياء ٤٨: ٢١).

«فَاسْأَلُوا أَهْلَ الْمَذْكَرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (سورة الأنبياء ٧: ٢١).

الباب الثاني شهادة الإنجيل

إن الإنجيل الذي يدين به المسيحيون ويؤمن به المسلمون هو نسيج واحد سدها ولحمته موت المسيح وقيامته.

وسُمِّي الإنجيل أي الأخبار السارة لأنه يتضمن أخبار الفداء.

ويضيق بنا المقام أن نذكر كل المواضيع الواردة في الإنجيل عن صلب المسيح لأن موضوع الصلب يسري في الإنجيل كسريان الدم في كل شرايين الجسم.

وإنما نجتزئ ببعض الملخصات:

١ - طلائع العهد الجديد

«وَتَكَلَّمْتُ عَنْهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُتَنظِّرِينَ فِدَاءً فِي أُورُشَلِيمَ» (لو ٣٨: ٢).

إن كثيرين في مستهل العهد الجديد تنبأوا عن الفداء المبارك الذي سيصنعه المسيح بموته المجيد.

فزكريا الكاهن تنبأ قائلاً «مُبَارَكُ الرَّبِّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ لِأَنَّهُ أَقْتَدَّ وَصَنَعَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ، وَأَقَامَ لَنَا قَوْلَ تَخْلَاصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ قَتَاهُ» (لو ١: ٦٨ و ٦٩).

وسمعان الشيخ تنبأ عن مقاومة اليهود للمسيح والمسيحية وعن حزن العذراء على ابنها فقال:

«هَا إِنَّ هَذَا قَدْ وُضِعَ لِشِقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ، وَلِعَلَّامَةِ تَقَاوُمٍ. وَأَنْتِ أَيْضاً يَجُوزُ فِي نَفْسِكَ سَيِّئٌ» (لو ٣٤: ٢ و ٣٥).

ويوحنا المعمدان لما رأى يسوع مقبلاً إليه تنبأ عن موته الكفاري فقال «هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ» (يو ١: ٢٩).

الْمَوْتُ أَحْضَهُمْ. أَيْنَ أُوْبَاؤُكَ يَا مَوْثُ؟ أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا هَاوِيَّةُ؟» (هو ١٣: ١٤).

وتنبأ في صراحة تامة عن موت المسيح وقيامته المجيدة في اليوم الثالث. وبين أن موته سيكون نيابة عنا ولذلك سنحسب أمواتاً معه وأحباء معه فقال «يُحْيِينَا بَعْدَ يَوْمَيْنِ. فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ يُقِيمُنَا فَتَحْيَا أَمَامَهُ» (هو ٢: ٦).

وأكد أن هذا الذي يقيمنا ويحيينا هو الذي يشرق كنور العالم ويفيض كماء الحياة فقال «لَتَعْرِفَ فَلَنَتَّبِعْ لَتَعْرِفَ الرَّبَّ. خُزُوجُهُ يَقِينٌ كَالْفَجْرِ. يَأْتِي إِلَيْنَا كَالْمَطَرِ. كَمَطَرٍ مُتَأَخَّرٍ يَسْقِي الْأَرْضَ» (هو ٣: ٦).

وبولس الرسول أشار إلى قيامة المسيح في اليوم الثالث مستشهداً بهذه النبوة المكتوبة ١ كو ١٥: ٤.

٧ - زكريا

وزكريا النبي الذي عاش سنة ٥٠٠ ق م تنبأ عن المسيح متبعاً إياه بعين النبوة في كل أسبوع آلامه. فتنبأ عن دخوله اورشليم راكباً على جحش ابن أتان فقال «إِنْتَهَجِي جِدًّا يَا ابْنَةُ صِهْيُونِ، أَهْتَفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكَ يَأْتِي إِلَيْكَ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدَيِّعٌ، وَرَاكِبٌ عَلَى جِمَارٍ وَعَلَى جَحْشِ ابْنِ أَتَانٍ» (زك ٩: ٩).

وتنبأ عن دم العهد الذي رسمه في ليلة تسليمه لليهود فقال: «وَأَنْتِ أَيْضاً فَإِنِّي بِدَمِ عَهْدِكَ قَدْ أَطْلَقْتُ اسْرَاكَ» (زك ١١: ٩).

ويوافق هذا ما قاله المسيح وهو يوزع كأس البركة لتلاميذه «هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفِكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ بِمَغْفَرَةِ الْخَطَايَا» (مت ٢٦: ٢٨).

وتنبأ عن بيع يهوذا له بثلاثين من الفضة وطرحه إياها في الهيكل فقال «قَالَ لِي الرَّبُّ: «الْقَهْطُ إِلَى الْفَخَّارِيِّ، الثَّمَنُ الْكَرِيمُ الَّذِي تَمَنُونِي بِهِ». فَأَحَدْتُ الثَّلَاثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ وَالْقَيْئَتِهَا إِلَى الْفَخَّارِيِّ فِي بَيْتِ الرَّبِّ» (زك ١١: ١٣).

وتنبأ عن صلبه بيد أمته فقال «مَا هَذِهِ الْجُرُوحُ فِي يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ: هِيَ النَّبِيُّ جُرِحَتْ بِهَا فِي بَيْتِ أَجْيَاتِي» (زك ١٣: ٦).

وتنبأ عن طعنه بالحربة بعد موته فقال «فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ، الَّذِي طَعَنُوهُ» (زك ١٢: ١٠ و ١٩: ٣٧).

وتنبأ عن أن الماء والدم الخارجين من جنبه المطعون سيكونان تطهيراً لخطايانا فقال «فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ يَبْتُوعُ مَفْتُوحاً لِيَبْتَ دَاوُدَ وَلِسْكَانِ أُورُشَلِيمَ لِلْخَطِيئَةِ وَلِلنَّجَامَةِ» (زك ١٣: ١).

هذا واعلم أن التوراة وهي كتاب سماوي لا يمكن أن يتفق اليهود والمسيحيون وهما على طرفي نقيض على أن يدسا فيها معاً هذه النبوات عن الصلب.

هَذَا الْخَيْرِ». فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ خَيْرُ الْحَيَاةِ. مَنْ يُقْبَلُ إِلَيَّ فَلَا يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَا يَعْطَشُ أَبَدًا... وَالْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْدَلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ... لِأَنَّ جَسَدِي مَأْكَلٌ حَقٌّ وَدَمِي مَشْرَبٌ حَقٌّ» (يو ٦: ٣٢-٣٥ و ٥١ و ٥٥).

النبوة الخامسة

إنباؤه تلاميذه في قيصرية فيلبس

ولما جاء المسيح إلى قيصرية فيلبس وسأل تلاميذه من يقول الناس أني أنا؟ واعترف بطرس بأنه هو المسيح ابن الله الحي «من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى اورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويُقتل، وفي اليوم الثالث يقوم».

فَأَخَذَهُ بَطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهَرُهُ قَائِلاً: «حَاشَاكَ يَا رَبُّ! لَا يَكُونُ لَكَ هَذَا!» فَالْتَمَتَتْ وَقَالَ لِبَطْرُسَ: «أَذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ. أَنْتَ مَعْتَرِضٌ لِي، لِأَنَّكَ لَا تَهْتَمُّ بِمَا لِيهِ لَكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ».

حِينَئِذٍ قَالَ يَسُوعُ لِتَلَامِيذِهِ: «إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتَّبِعْنِي، فَإِنْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْلُصَ نَفْسَهُ يَهْلِكُهَا، وَمَنْ يَهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا» (مت ٢١: ١٦-٢٥).

النبوة السادسة

مثال يوحنا المعمدان

ولما كان المسيح على جبل التجلي تغير وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور، وظهر موسى وإيليا بمجد وتحدثا معه عن صلبه العتيد أن يكون له بأورشليم، وقد شاهد هذا المجد الأسنى بطرس ويعقوب ويوحنا. وقد سمعوا صوت الأب من السماء يشهد للمسيح أنه هو الابن الحبيب «وَمَا هُمْ نَازِلُونَ مِنْ الْجَبَلِ أَوْصَاهُمْ يَسُوعُ قَائِلاً: «لَا تُعْلَمُوا أَحَدًا بِمَا رَأَيْتُمْ حَتَّى يَقُومَ ابْنُ الْإِنْسَانِ مِنَ الْأَمْوَاتِ».

وَسَأَلَهُ تَلَامِيذُهُ: «فَلِمَاذَا يَقُولُ الْكُتْبَةُ إِنَّ إِبِلِيَّا يَنْبَغِي أَنْ يَأْتِيَ أَوْلًا؟» فَأَجَابَ يَسُوعُ: «إِنَّ إِبِلِيَّا يَأْتِي أَوْلًا وَيُرَدُّ كُلُّ شَيْءٍ. وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ إِبِلِيَّا قَدْ جَاءَ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ، بَلْ عَمِلُوا بِهِ كُلَّ مَا أَرَادُوا. كَذَلِكَ ابْنُ الْإِنْسَانِ أَيْضًا سَوْفَ يَتَأَلَّمُ مِنْهُمْ».

حِينَئِذٍ فَهِمَ التَّلَامِيذُ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ عَنْ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ (مت ١٧: ٩-١٣).

النبوة السابعة

إنباؤه تلاميذه بالقرب من كفرناحوم

لما كان المسيح راجعاً من جبل التجلي إلى كفرناحوم قبل صلبه بستة شهور «قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «ابْنُ الْإِنْسَانِ سَوْفَ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ فَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ يَقُومُ». فَحَزِنُوا جَدًّا» (مت ١٧: ٢٢ و ٢٣).

النبوة الثامنة

مثال الراعي الصالح

هَكَذَا فَيُكْمَلُ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيمًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِمًا، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوْلًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْدًا، كَمَا أَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ لَمْ يَأْتْ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ، وَلِيَبْدِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» (مت ٢٥: ٢٠-٢٨).

النبوة الثالثة عشرة

إنباؤه تلاميذه في بيت عنيا

ولما وصل المسيح إلى بيت عنيا قبل الفصح بستة أيام حيث كان لعازر الميت الذي أقامه من الأموات فصنعوا له هناك عشاء «فَأَخَذَتْ مَرْيَمُ مَنَّا مِنْ طَيْبِ نَارِدِينَ خَالِصٍ كَثِيرٍ اَّتَمَنَ، وَدَهَنَتْ قَدَمَيْ يَسُوعَ، وَمَسَحَتْ قَدَمَيْهِ بِشَعْرَهَا، فَأَمْتَلَأَ الْبَيْتُ مِنْ رَائِحَةِ الطَّيْبِ. فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ، وَهُوَ يَهُوذَا سِمْعَانَ

الْإِسْحَرْيُوطِيُّ، الْمُرْمِعُ أَنْ يُسَلِّمَهُ: «لِمَاذَا لَمْ تُبِعْ هَذَا الطَّيْبَ بِثَلَاثِمِئَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ؟» قَالَ هَذَا لَيْسَ لِأَنَّهُ كَانَ يُبَالِي بِالْفُقَرَاءِ، بَلْ لِأَنَّهُ كَانَ سَارِقًا، وَكَانَ الصُّنْدُوقُ عِنْدَهُ، وَكَانَ يَحْمِلُ مَا يُلْقَى فِيهِ».

فَقَالَ يَسُوعُ: «أَتَرَكُوهُمَا. إِنَّهَا لِيَوْمٍ تَكْفِينِي قَدْ حَفِظْتُهُ، لِأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ جَيْنٍ، وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ جَيْنٍ» (يو ١٢: ٨-١).

النبوة الرابعة عشرة

مثال ابن صاحب الكرم

بعد أن دخل المسيح أورشليم منتصراً وكان في الهيكل في يوم الثلاثاء ضرب مثل الكرامين الذين امتنعوا عن تسليم الأثمار لصاحب الكرم وضربوا عبده الذين أرسلهم واحداً فواحداً. ولما أرسل أخيراً ابنه قالوا هذا هو الوارث هلم تقتله ويكون لنا الميراث فأخرجوه خارج الكرم وقتلوه.

وقد علق المسيح على هذا المثل بقول المزمير «الحجر الذي رفضه البنائون هو قد صار رأس الزاوية».

وقد عرف اليهود أنه قال هذا المثل عليهم (مت ٢١: ٣٣-٤٥ و لو ٢٠: ٩-١٥).

النبوة الخامسة عشرة

مثال حبة الخنطة

ولما كان المسيح في أورشليم وقد صعد إليها أناس يونايون ليسجدوا في العيد وتقدم هؤلاء إلى فيلبس وطلبوا أن يروا يسوع. «فَأَتَى فِيلِبُّسُ وَقَالَ لِأَنْدَرَاوُسَ، ثُمَّ قَالَ أَنْدَرَاوُسُ وَفِيلِبُّسُ لِيَسُوعَ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَأَجَابَهُمَا: «قَدْ أَتَتْ السَّمَاعَةُ لِيَتِمَّجِدَ ابْنُ الْإِنْسَانِ».

الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْخِنْطَةِ فِي الْأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَتَخْذَلُهَا. وَلَكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِتَمَرٍ كَثِيرٍ... وَأَنَا إِنْ أَرْتَفَعْتُ عَنِ الْأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ». قَالَ هَذَا مُشِيرًا إِلَى آيَةِ مِيتَةِ كَانَ مُرْمِعًا أَنْ يَمُوتَ» (يو ١٢: ٢٢-٣٣).

النبوة التاسعة

إنباؤه الفريسيين في بيرية

لما كان المسيح في بيرية قبل ذهابه الأخير إلى اورشليم «فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَقَدَّمَ بَعْضُ الْفَرِيسِيِّينَ قَائِلِينَ لَهُ: «أَخْرُجْ وَأَذْهَبْ مِنْ هَهُنَا، لِأَنَّ هِيرُودُسَ يَرِيدُ أَنْ يَقْتُلَكَ». فَقَالَ لَهُمْ: «أَمْضُوا وَقُولُوا لِهَذَا الثَّغَلِبِ: هَا أَنَا أَخْرُجُ شَيْطَانِي، وَأُسْفِي الْيَوْمَ وَعَدَا، وَفِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ أَكْمَلُ. بَلْ يَنْبَغِي أَنْ أُسِيرَ الْيَوْمَ وَعَدَا وَمَا تَلِيهِ، لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَهْلِكَ نَبِيٌّ خَارِجًا عَنْ أُورُشَلِيمِ».

يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ، يَا قَاتِلَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةً أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلَادِكَ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاحَتَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا» (لو ١٣: ٣١-٣٤).

النبوة العاشرة

إنباؤه الفريسيين في بيرية أيضاً

ولما كان المسيح أيضاً في بيرية، سأله الفريسيون باستهزاء متى يأتي ملكوت الله؟ فقال لهم ها ملكوت الله داخلكم. ثم تكلم عن مجده في مجيئه الثاني ثم استدرك قائلاً «ولَكِنْ يَنْبَغِي أَوْلًا أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا وَيُرْفَضَ مِنْ هَذَا الْجِيلِ» (لو ١٧: ٢٥).

النبوة الحادية عشرة

إنباؤه تلاميذه في طريق أورشليم

ولما بارح المسيح بيرية «وَمَا كَانَ يَسُوعُ صَاعِدًا إِلَى أُورُشَلِيمِ أَخَذَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ تَلْمِيذًا عَلَى أَنْفِرَادٍ فِي الطَّرِيقِ وَقَالَ لَهُمْ: «هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمِ، وَأَبْنُ الْإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ، وَيُسَلَّمُونَهُ إِلَى الْأَمَمِ لِكَيْ يَهْرَأُوا بِهِ وَيَجْلِدُوهُ وَيَصْلُبُوهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ يَقُومُ» (مت ٢٠: ١٧-١٩).

النبوة الثانية عشرة

مثال العظيم المتفاني

لما تقدم ابنا زبدي إلى المسيح، وطلبا أن يكونا الواحد عن يمينه والآخر عن يساره في ملكوته وَاغْتَاطَ الْعَشْرَةَ تَلَامِيذَ مِنْ أَجْلِ الْأَخْوِيينَ «فَدَعَاهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ: «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الْأَمَمِ يَسُودُونَهُمْ، وَالْعَظَمَاءُ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ. فَلَا يَكُونُ

ولما أكمل يسوع أقواله مساء الثلاثاء عن مجيئه الثاني قال لتلاميذه «تَعْلَمُونَ أَنَّهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ يَكُونُ الْفِصْحُ، وَأَبْنُ الْإِنْسَانِ يُسَلَّمُ لِيُصَلَّبَ» (مت ٢٦: ١ و٢).

في الليلة التي أسلم فيها قال لتلاميذه «سَهْوَةٌ أَشْتَهَيْتُ أَنْ أَكُلَ هَذَا الْفِصْحَ مَعَكُمْ قَبْلَ أَنْ أَتَاكُمْ، لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي لَا أَكُلُ مِنْهُ بَعْدَ حَتَّى يُكْمَلَ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ» (لو ١٥: ٢٢ و١٦).

وفي الليلة نفسها بعد أن غسل أرجل تلاميذه قال لهم «وَأَنْتُمْ طَاهِرُونَ وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّكُمْ... أَنَا أَعْلَمُ الَّذِينَ أَحْتَرِثُهُمْ. لَكِنْ لَيْسَ الْكِتَابُ: الَّذِي يَأْكُلُ مَعِي آخِيزَ رَفَعَ عَلَيَّ عَقِبَهُ. أَقُولُ لَكُمْ الْآنَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، حَتَّى مَتَى كَانَ تُؤْمِنُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ»

وقد عين من يسلمه بقوله الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه. فغمس اللقمة وأعطاهم ليهوذا سيمعان الإسخر يوطي. فبعد اللقمة دخله الشيطان. فقال له يسوع: «مَا أَنْتَ تَعْمَلُهُ فَأَعْمَلُهُ بِأَكْثَرِ سُرْعَةٍ» (يو ١٣: ١٠ و١٨ و١٩ و٢٦ و٢٧).

وبعد خروج يهوذا وجه المسيح الخطاب لبطرس وأنبأه أنه سينكره ثلاث مرات قبل أن يصبح الديك. وأن التلاميذ كلهم يشكون فيه ويهربون ولكنه بعد قيامه من الأموات يسبقهم إلى الجليل (مت ٢٦: ٣١-٣٥).

وبعد ما تعشوا من خروف الفصح قبل رفع الطعام، رسم المسيح لتلاميذه طقساً دينياً لذكرى آلامه وموته، يمارسونه مدى الأجيال وفيه يتحدون اتحاداً روحياً مع المسيح ويقدمون الشكر لله تعالى على ما يتمتعون به من مزايا موته الكفاري.

«وَفِيْمَا هُمْ يَأْكُلُونَ، أَحَدٌ يَسُوعُ خُبْرًا وَبَارَكَ وَكَسَّرَ، وَأَعْطَاهُمْ وَقَالَ: «خُذُوا كُلُوا، هَذَا هُوَ جَسَدِي». ثُمَّ أَحَدَ الْكَاسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ، فَشَرَبُوا مِنْهَا كُلُّهُمْ. وَقَالَ لَهُمْ: «هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِعَهْدِ الْجَدِيدِ، الَّذِي يُسْفِكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ» (مر ١٤: ٢٢-٢٤).

في خطابه الوداعي بعد رسم العشاء الرباني في العلية كان يعزي تلاميذه قائلاً «لَيْسَ لِأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ» (يو ١٣: ١٥).

«هُوَذَا تَأْتِي سَاعَةٌ، وَقَدْ آتَى الْآنَ، تَتَفَرَّقُونَ فِيهَا كُلٌّ وَوَاحِدٍ إِلَى خَاصَّتِيهِ، وَتَتْرُكُونِي وَخِدي. وَأَنَا لَسْتُ وَخِدي لِأَنَّ الْآبَ مَعِي» (يو ١٦: ٣٢).
«بَعْدَ قَلِيلٍ لَا يَرَانِي الْعَالَمُ أَيْضًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَرَوْنِي. إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ» (يو ١٤: ١٩).

لما كان المسيح في بستان جثسيماني قال لتلاميذه «هُوَذَا السَّاعَةُ قَدْ أَقْتَرَبَتْ، وَأَبْنُ الْإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَيَّ أَيَّدِي الْخَطَاةِ» (مت ٢٦: ٤٥).

قصة آلام الفادي كما سجلها البشرون الأربعة «يَتَّبِعِي أَنْ الْمَسِيحَ يَتَّأَلَمُ بِهَذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟» (لو ٢٤: ٢٦).

والذين أمسكوا يسوع مت ٢٦: ٥٧ أخذوه وساقوه لو ٢٢: ٥٤ «وَمَضَوْا بِهِ إِلَى حَنَاتٍ أَوْلًا، لِأَنَّهُ كَانَ حَمًا قِيَافًا الَّذِي كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ» (يو ١٨: ١٣).

«وَكَانَ حَنَاتٌ قَدْ أَرْسَلَهُ مُوثَقًا إِلَى قِيَافَا رَئِيسِ الْكَهَنَةِ» (يو ١٨: ٢٤) «حَيْثُ اجْتَمَعَ الْكَتَبَةُ وَالشُّيُوعُ» (مت ٢٧: ٥٧).

«وَكَانَ قِيَافَا هُوَ الَّذِي أَسَارَ عَلَى الْيَهُودِ أَنَّهُ خَيْرٌ أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَوَاحِدٌ عَنِ الشُّعْبِ» (يو ١٨: ١٤).

«وَكَانَ سَمْعَانُ بُطْرُسُ وَالتَّلْمِيذُ الْآخَرُ يُتَّبِعَانِ يَسُوعَ، وَكَانَ ذَلِكَ التَّلْمِيذُ مَعْرُوفًا عِنْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَدَخَلَ مَعَ يَسُوعَ إِلَى دَارِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ. وَأَمَّا بُطْرُسُ فَكَانَ وَاقِفًا عِنْدَ الْبَابِ خَارِجًا. فَخَرَجَ التَّلْمِيذُ الْآخَرُ الَّذِي كَانَ مَعْرُوفًا عِنْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، وَكَلَّمَ التَّوَابَةَ فَادْخَلَ بُطْرُسُ. وَكَانَ الْعَبِيدُ وَالْحَدَّامُ وَاقِفِينَ، وَهُمْ قَدْ أَضْرَمُوا جَمْرًا لِأَنَّهُ كَانَ بَرْدٌ، وَكَانُوا يَصْطَلُونَ، وَكَانَ بُطْرُسُ وَاقِفًا مَعَهُمْ يَصْطَلِي. وَجَلَسَ بَيْنَ الْحَدَّامِ لِيَنْظُرَ النَّهَائَةَ.

وَبَيْنَمَا كَانَ بُطْرُسُ فِي الدَّارِ أَسْفَلَ جَاءَتْ إِحْدَى جَوَارِي رَئِيسِ الْكَهَنَةِ. فَلَمَّا رَأَتْ بُطْرُسَ يَسْتَدْفِيهِ، نَظَرَتْ إِلَيْهِ وَقَالَتْ: «وَأَنْتَ كُنْتَ مَعَ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ!» فَانْكَرَ قَائِلًا: «لَسْتُ أَذْرِي وَلَا أَفْهَمُ مَا تَقُولِينَ!» وَخَرَجَ خَارِجًا إِلَى الدَّهْلِييْرِ، فَصَاحَ الدَّيْكَ. فَرَأَتْهُ الْجَارِيَةُ أَيْضًا وَابْتَدَأَتْ تَقُولُ لِلْحَاضِرِينَ: «إِنَّ هَذَا مِنْهُمْ!» فَانْكَرَ أَيْضًا.

وَبَعْدَ قَلِيلٍ أَيْضًا قَالَ الْحَاضِرُونَ لِبُطْرُسَ: «حَقًّا أَنْتَ مِنْهُمْ، لِأَنَّكَ جَلِيلِيٌّ أَيْضًا وَلُغَتُكَ تُشْبِهُ لُغَتَهُمْ». فَابْتَدَأَ يَلْعَنُ وَيَحْلِفُ: «إِنِّي لَا أَعْرِفُ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي تَقُولُونَ عَنْهُ!»

قَالَ وَاحِدٌ مِنْ عِبِيدِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، وَهُوَ نَسِيبُ الَّذِي قَطَعَ بُطْرُسُ أُذُنَهُ: «أَمَّا رَأَيْتُكَ أَنَا مَعَهُ فِي الْبَيْتَانِ؟» فَانْكَرَ بُطْرُسُ أَيْضًا.

فَقَدَّرَ بُطْرُسُ كَلَامَ الرَّبِّ، كَيْفَ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدَّيْكَ تُنْكِرُنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.»

(مت ٢٦: ٥٨-٦٩ و٧٥، مر ١٤: ٥٤-٦٦ و٧٢، لو ٢٢: ٥٤-٦٢، يو ١٨: ١٥ و٢٥-٢٧).

«فَسَأَلَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ يَسُوعَ عَنْ تَلَامِيذِهِ وَعَنْ تَعْلِيمِهِ. أَجَابَهُ يَسُوعُ: «أَنَا كَلَّمْتُ الْعَالَمَ عَلَانِيَةً. أَنَا عَلَّمْتُ كُلَّ حِينٍ فِي الْجَمْعِ وَفِي التَّهَيْكَلِ حَيْثُ يَجْتَمِعُ الْيَهُودُ دَائِمًا. وَفِي الْخَفَاءِ لَمْ أَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ. لِمَاذَا تَسْأَلُنِي أَنَا؟ إِسْأَلِ الَّذِينَ قَدْ سَمِعُوا مَاذَا كَلَّمْتُهُمْ. هُوَذَا هُوَ لَآءِ يَعْرِفُونَ مَاذَا قُلْتُ أَنَا.»

وَلَمَّا قَالَ هَذَا لَطَمَ يَسُوعَ وَوَاحِدٌ مِنَ الْحَدَّامِ كَانَ وَاقِفًا، قَائِلًا: «أَهَكَذَا تَجَاوَبَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ؟» أَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ كُنْتُ قَدْ تَكَلَّمْتُ رَدِيًّا فَاشْهَدْ عَلَيَّ الرَّدِي، وَإِنْ حَسَنًا فَلِمَاذَا تُضْرِبُنِي؟» (يو ١٨: ١٩-٢٣).

«وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوعُ وَالْجَمْعُ كُلُّهُ يَطْلُبُونَ شَهَادَةَ زُورٍ عَلَى يَسُوعَ لِكَيْ يَقْتُلُوهُ، فَلَمْ يَجِدُوا. وَمَعَ أَنَّهُ جَاءَ شُهُودٌ زُورٌ كَثِيرُونَ، لَمْ يَجِدُوا.

لِأَنَّ كَثِيرِينَ شَهِدُوا عَلَيْهِ زُورًا، وَلَمْ تَتَّفِقْ شَهَادَاتُهُمْ. ثُمَّ قَامَ قَوْمٌ وَشَهِدُوا عَلَيْهِ زُورًا قَائِلِينَ: «نَحْنُ سَمِعْنَاهُ يَقُولُ: إِنِّي أَنْقَضُ هَذَا التَّهَيْكَلِ الْمَصْنُوعَ بِالْأَيَادِي، وَفِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أُبْنِي آخَرَ عَيْرَ مَصْنُوعَ بِأَيَادِي. وَلَا بِهَذَا كَانَتْ شَهَادَاتُهُمْ تَتَّفِقُ. فَقَامَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ فِي الْوَسْطِ وَسَأَلَ يَسُوعَ: «أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ؟ مَاذَا يَشْهَدُ بِهِ هُوَ لَآءِ عَلَيْكَ؟»

أَمَّا هُوَ فَكَانَ سَاكِنًا وَلَمْ يُجِبْ بِشَيْءٍ. فَسَأَلَهُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ أَيْضًا: «أَأَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ الْمُبَارَكِ؟» فَقَالَ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ. وَسَوْفَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا فِي سَحَابِ السَّمَاءِ.»

فَمَرَّقَ رَئِيسَ الْكَهَنَةِ نِيَابَهُ وَقَالَ: «مَا حَاجَتُنَا بَعْدَ إِلَى شُهُودٍ؟ قَدْ سَمِعْتُمْ التَّجَادِيفَ! مَا رَأَيْتُمْ؟» فَالْجَمِيعُ حَكَمُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ.
(مت ٢٦: ٥٩-٦٦، مر ١٤: ٥٥-٦٤).

جلد وإهانة

«وَالرُّجَالُ الَّذِينَ كَانُوا صَابِطِينَ بِيَسُوعَ كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ وَهُمْ يَجْلِدُونَهُ، وَعَطَّوْهُ وَكَانُوا يَضْرِبُونَ وَجْهَهُ وَيَسَاءَلُونَهُ: «تَبْنَا! مَنْ هُوَ الَّذِي ضَرَبْتَ؟» وَأَشْيَاءَ أُخْرَى كَثِيرَةً كَانُوا يَقُولُونَ عَلَيْهِ مُجْدِفِينَ» (مت ٢٦: ٦٧ و ٦٨، مر ١٤: ٦٤ و ٦٥، لو ٢٢: ٦٣-٦٥).

امام السنهدريم

«وَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ تَشَاوَرَ جَمِيعُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخِ الشَّعْبِ عَلَى يَسُوعَ حَتَّى يَقْتُلُوهُ. وَأَضْعَدُوهُ إِلَى مَجْمَعِهِمْ قَائِلِينَ: «إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحُ فَقُلْ لَنَا». فَقَالَ لَهُمْ: «إِنْ قُلْتُ لَكُمْ لَا تُصَدِّقُونَ، وَإِنْ سَأَلْتُ لَا تَجِيبُونَنِي وَلَا تُطْلِفُونَنِي. مِنْذُ الْآنَ يَكُونُ ابْنُ الْإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ قُوَّةِ اللَّهِ». فَقَالَ الْجَمِيعُ: «أَفَأَنْتَ ابْنُ اللَّهِ؟» فَقَالَ لَهُمْ: «أَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا هُوَ». فَقَالُوا: «مَا حَاجَتُنَا بَعْدَ إِلَى شَهَادَةٍ؟ إِنَّا نَحْنُ سَمِعْنَا مِنْ فَمِهِ» (مت ٢٧: ١، مر ١٥: ١٠، لو ٢٢: ٦٦-٧١).

ثانيا: المسيح أمام القضاء الروماني

إلى بيلاطس

«حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى يَهُودًا الَّذِي أَسْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ دِينَ، نَدِمَ وَرَدَّ التَّلَاثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخِ قَائِلًا: «قَدْ أَحْطَطْتُ إِذْ سَلَّمْتُ دَمًا بَرِيئًا». فَقَالُوا: «مَاذَا عَلَيْنَا؟ أَنْتَ أَبْصِرْ!» فَطَرَحَ الْفِضَّةَ فِي الْهَيْكَلِ وَأَنْصَرَفَ، ثُمَّ مَضَى وَحَتَقَ نَفْسَهُ.

فَأَخَذَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ الْفِضَّةَ وَقَالُوا: «لَا يَجِلُّ أَنْ نُلْقِيَهَا فِي الْخِرَازَةِ لِأَنَّهَا تَمُنُّ دَمًا». فَتَشَاوَرُوا وَأَسْتَرَوْا بِهَا حَقْلَ الْفَخَّارِيِّ مَقْبَرَةً لِلْغُرَبَاءِ. لِهُذَا سُمِّيَ ذَلِكَ الْحَقْلُ «حَقْلَ الدَّمِ» إِلَى هَذَا الْيَوْمِ.

حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بِإِزْمِيَا النَّبِيِّ: «وَأَخَذُوا التَّلَاثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ، تَمَنَّ الْمُنَمَّنُ الَّذِي تَمُنُّهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَعْطَوْهَا عَنْ حَقْلِ الْفَخَّارِيِّ، كَمَا أَمَرَنِي الرَّبُّ» (مت ٢٧: ٣-١٠، أع ١٨: ١ و ١٩).

أما بيلاطس

«ثُمَّ جَاءُوا بِيَسُوعَ مِنْ عِنْدَ قِيَافَا إِلَى دَارِ الْوَلَايَةِ، وَكَانَ صُبْحٌ. وَلَمْ يَدْخُلُوا هُمُ إِلَى دَارِ الْوَلَايَةِ لِكَيْ لَا يَتَنَجَّسُوا، فَمَا كَلُّوا الْفِضْحَ.

فَخَرَجَ بِيلاطسُ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: «أَيَّةُ شِكَايَةٍ تُقَدِّمُونَ عَلَيَّ هَذَا الْإِنْسَانِ؟» أَجَابُوا: «لَوْ لَمْ يَكُنْ فَاعِلَ شَرٍّ لَمَّا كُنَّا قَدْ سَلَفْنَا»

إِلَيْكَ!» فَقَالَ لَهُمْ بِيلاطسُ: «خُذُوهُ أَنْتُمْ وَآخُذُوا عَلَيْهِ حَسَبَ نَامُوسِكُمْ». فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: «لَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَقْتُلَ أَحَدًا». لَيْتِمَ قَوْلُ يَسُوعَ الَّذِي قَالَهُ مُشِيرًا إِلَى أَيَّةِ مِيتَةٍ كَانَ مُرْمَعًا أَنْ يَمُوتَ. ثُمَّ دَخَلَ بِيلاطسُ أَيْضًا إِلَى دَارِ الْوَلَايَةِ وَدَعَا يَسُوعَ، وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» أَجَابَهُ يَسُوعُ: «أَمِنْ ذَاتِكَ تَقُولُ هَذَا، أَمْ آخَرُونَ قَالُوا لَكَ عَنِّي؟» أَجَابَهُ بِيلاطسُ: «أَلَعَلِّي أَنَا يَهُودِيٌّ؟ أَمْ كَيْفَ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَسْلَمُوكَ إِلَيَّ. مَاذَا فَعَلْتَ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ لَكَانَ خِدَامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لَا أَسْلَمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلَكِنْ الْآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا». فَقَالَ لَهُ بِيلاطسُ: «أَفَأَنْتَ إِذَا مَلِكٌ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «أَنْتَ تَقُولُ إِنِّي مَلِكٌ. لِهُذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا، وَلِهُذَا قَدْ آتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لِأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي». قَالَ لَهُ بِيلاطسُ: «مَا هُوَ الْحَقُّ؟». وَلَمَّا قَالَ هَذَا خَرَجَ أَيْضًا إِلَى الْيَهُودِ وَقَالَ لَهُمْ: «أَنَا لَسْتُ أَجِدُ فِيهِ عِلَّةً وَاحِدَةً.

وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ يَسْتَكُونُ عَلَيْهِ كَثِيرًا. فَسَأَلَهُ بِيلاطسُ أَيْضًا: «أَمَا تُجِيبُ بَشِيءًا؟ أَنْظُرْ كَمْ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ!» فَلَمْ يُجِبْهُ وَلَا عَنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، حَتَّى تَعَجَّبَ الْوَالِي جَدًّا.

فَقَالَ بِيلاطسُ لِرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْجُمُوعِ: «إِنِّي لَا أَجِدُ عِلَّةً فِي هَذَا الْإِنْسَانِ». فَكَانُوا يُشَدِّدُونَ قَائِلِينَ: «إِنَّهُ يُهَيِّجُ الشَّعْبَ وَهُوَ يَعْلَمُ فِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ مُبْتَدِئًا مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى هُنَا. فَلَمَّا سَمِعَ بِيلاطسُ ذَكَرَ الْجَلِيلِ، سَأَلَ: «هَلْ الرَّجُلُ جَلِيلِيٌّ؟» (يو ١٨: ٢٨-٣٨، مت ٢٧: ١-١٤، مر ١٥: ٢-٤، لو ٢٣: ٢-٦).

إلى هيرودس

«وَحِينَ عَظِمَ أَنَّهُ مِنْ سُلْطَنَةِ هِيرُودُسَ، أَرْسَلَهُ إِلَى هِيرُودُسَ، إِذْ كَانَ هُوَ أَيْضًا يَتَلَّكُ الْأَيَّامَ فِي أَوْسَلِيمَ» (لو ٢٣: ٧).

امام هيرودس

«وَأَمَّا هِيرُودُسُ فَلَمَّا رَأَى يَسُوعَ فَرِحَ جَدًّا، لِأَنَّهُ كَانَ يُرِيدُ مِنْ زَمَانٍ طَوِيلٍ أَنْ يَرَاهُ، لِيَسْمَاعَهُ عَنْهُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً، وَتَرَجَّى أَنْ يَرَاهُ يَصْنَعُ آيَةً. وَسَأَلَهُ بِكَلَامٍ كَثِيرٍ فَلَمْ يُجِبْهُ بِشَيْءٍ.

وَوَقَفَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ يَسْتَكُونُ عَلَيْهِ بِأَشْتِدَادٍ، فَآخِذَةً هِيرُودُسُ مَعَ عَشْكَرِهِ وَاسْتَهْزَأَ بِهِ، وَالْبَسَهُ لِبَاسًا لَامِعًا، وَرَدَّهُ إِلَى بِيلاطسَ.

فَصَارَ بِيلاطسُ وَهِيرُودُسُ صَدِيقَيْنِ مَعَ بَعْضِهِمَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، لِأَنَّهُمَا كَانَا مِنْ قَبْلِ فِي عَدَاوَةٍ بَيْنَهُمَا» (لو ٢٣: ٨-١٢).

امام بيلاطس ثانية

«فَدَعَا بِيلاطسُ رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ وَالْعُظَمَاءَ وَالشَّعْبَ، وَقَالَ لَهُمْ: «قَدْ قَدَّمْتُمْ إِلَيَّ هَذَا الْإِنْسَانَ»

كَمْ مِنْ نَفْسٍ الشَّعْبِ. وَهِيَ أَنَا قَدْ فَحَصْتُ قَدَامَكُمْ وَلَمْ أَجِدْ فِي هَذَا الْإِنْسَانِ عِلَّةً مِمَّا تَسْتَكُونُ بِهِ عَلَيْهِ. وَلَا هِيرُودُسُ أَيْضًا، لِأَنِّي أَرْسَلْتُكُمْ إِلَيْهِ. وَهِيَ لَا شَيْءَ يَسْتَحِقُّ الْمَوْتَ صُنِعَ مِنْهُ. فَأَنَا أُوَدِّبُهُ وَأَطْلُقُهُ».

وَكَانَ لَهُمْ حِينِئِذٍ أَسِيرٌ مَشْهُورٌ يُدْعَى بَارَابَاسَ وَذَلِكَ كَانَ قَدْ طُرِحَ فِي السَّجْنِ لِأَجْلِ فَتْنَةٍ حَدَثَتْ فِي الْمَدِينَةِ وَقَتْلٍ.

فَقِيَمَا هُمُ مُجْتَمِعُونَ قَالَ لَهُمْ بِيلاطسُ: «مَنْ تُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ؟ بَارَابَاسَ أَمْ يَسُوعَ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ؟» لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُمْ أَسْلَمُوهُ حَسَدًا. وَإِذْ كَانَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ الْوَلَايَةِ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ أَمْرًا قَائِلَةً: «إِيَّاكَ وَذَلِكَ الْبَارَّ، لِأَنِّي تَأَلَّمْتُ الْيَوْمَ كَثِيرًا فِي حُلْمٍ مِنْ أَجْلِهِ». وَلَكِنْ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ حَرَّضُوا الْجُمُوعَ عَلَى أَنْ يَطْلُبُوا بَارَابَاسَ وَيُهْلِكُوا يَسُوعَ. فَسَأَلَ الْوَالِي: «مَنْ مِنَ الْآيَتَيْنِ تُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ؟»

فَصَرَّحُوا أَيْضًا جَمِيعُهُمْ: «لَيْسَ هَذَا بَلْ بَارَابَاسَ» فَقَالَ لَهُمْ تَالِيَةً: «فَأَيُّ شَرٍّ عَمِلَ هَذَا؟ إِنِّي لَمْ أَجِدْ فِيهِ عِلَّةً لِلْمَوْتِ، فَأَنَا أُوَدِّبُهُ وَأَطْلُقُهُ». فَكَانُوا يَلِجُونَ بِأَصْوَاتٍ عَظِيمَةٍ طَالِبِينَ أَنْ يُصَلَّبَ. فَقَوَّيْتُ أَصْوَاتَهُمْ وَأَصْوَاتُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ

فَأَجَابَهُمْ بِيلاطسُ: «تُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ مَلِكَ الْيَهُودِ؟». لِأَنَّهُ عَرَفَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ كَانُوا قَدْ أَسْلَمُوهُ حَسَدًا

فَلَمَّا رَأَى بِيلاطسُ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ شَيْئًا، بَلَ بِالْحَرِيِّ يَخْذُلُ شَعْبًا، أَخَذَ مَاءً وَعَسَلَ يَدَيْهِ قَدَامَ الْجَمْعِ قَائِلًا: «إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هَذَا الْبَارَّ. أَبْصِرُوا أَنْتُمْ». فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ: «دُمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلَادِنَا»

فَحَكَمَ بِيلاطسُ أَنْ تَكُونَ طَلِبَتُهُمْ. فَأَطْلَقَ لَهُمُ الَّذِي طُرِحَ فِي السَّجْنِ لِأَجْلِ فَتْنَةٍ وَقَتْلٍ، الَّذِي طَلَبُوهُ، وَأَسْلَمَ يَسُوعَ لِمَشِيئَتِهِمْ» (لو ٢٣: ١٣-٢٥، مت ٢٧: ٢٦، مر ١٥: ٦-١٥، يو ١٨: ٣٩ و ٤٠).

تحت السياط

«فَحِينَئِذٍ أَخَذَ بِيلاطسُ يَسُوعَ وَجَلَدَهُ. وَأَسْلَمَهُ لِيُصَلَّبَ» (مت ٢٧: ٢٦، يو ١٩: ١).

في ثياب المهانة

«فَأَخَذَ عَشْكَرُ الْوَالِي يَسُوعَ إِلَى دَارِ الْوَلَايَةِ وَجَمَعُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْكَتَبَةِ، فَعَرَّوْهُ وَالْبَسُوهُ رِدَاءَ قَزْمِيَّاتًا، وَضَفَرُوا إِكْبِيلًا مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَقَصَبَتِهِ فِي يَمِينِهِ. وَكَانُوا يَجْتَنُونَ قَدَامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلِينَ: «السَّلَامُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!» وَبَصَفُّوا عَلَيْهِ، وَأَخَذُوا الْقَصَبَةَ وَضَرَبُوهُ عَلَى رَأْسِهِ وَكَانُوا يَطْلُبُونَهُ ثُمَّ يَسْجُدُونَ لَهُ جَائِعِينَ عَلَى رُكْبِهِمْ» (مت ٢٧: ٢٧-٣٠، مر ١٥: ١٦-١٩، يو ١٩: ٢ و ٣).

«فَخَرَجَ بِيلاطُسُ أَيْضاً خَارِجاً وَقَالَ لَهُمْ: «هَا أَنَا أُخْرِجُكُمْ إِلَيْكُمْ لِتَعْلَمُوا أَنِّي لَسْتُ أَجِدُ فِيهِ عِلَّةً وَاحِدَةً» .

فَخَرَجَ يَسُوعُ خَارِجاً وَهُوَ حَامِلٌ إِكْلِيلَ الشُّوكِ وَثَوْبَ الْأَزْجَوَانِ. فَقَالَ لَهُمْ بِيلاطُسُ: «هُوَذَا الْإِنْسَانُ».

فَلَمَّا رَأَتْ رُؤَسَاءُ الكَهَنَةِ وَالْحَدَّامُ صَرَخُوا: «أَصْلِبْهُ! أَصْلِبْهُ!» قَالَ لَهُمْ بِيلاطُسُ: «حُدُّوهُ أَنْتُمْ وَأَصْلِبُوهُ، لِأَنِّي لَسْتُ أَجِدُ فِيهِ عِلَّةً. أَجَابَهُ الْيَهُودُ: «لَنَا نَامُوسٌ، وَحَسَبَ نَامُوسِنَا يَجِبُ أَنْ يَمُوتَ، لِأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ ابْنَ اللَّهِ». فَلَمَّا سَمِعَ بِيلاطُسُ هَذَا الْقَوْلَ أَزْدَادَ خَوْفًا. فَدَخَلَ أَيْضاً إِلَى دَارِ الْوَلَايَةِ وَقَالَ لِيَسُوعَ: «مَنْ أَيْنَ أَنْتَ؟» وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمْ يُعْطِهِ جَوَابًا. فَقَالَ لَهُ بِيلاطُسُ: «أَمَّا تُكَلِّمُنِي؟ أَلَسْتُ تَعْلَمُ أَنَّ لِي سُلْطَانًا أَنْ أَصْلِبَكَ وَسُلْطَانًا أَنْ أَطْلِقَكَ؟»

أَجَابَ يَسُوعُ: «لَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَيَّ سُلْطَانٌ الْبَتَّةَ، لَوْ لَمْ تَكُنْ قَدْ أَعْطَيْتَ مِنْ فَوْقِ. لِذَلِكَ الَّذِي أَسْلَمَنِي إِلَيْكَ لَهُ خَطِيئَةٌ أَعْظَمُ». مِنْ هَذَا الْوَقْتِ كَانَ بِيلاطُسُ يَطْلُبُ أَنْ يُطْلَقَهُ، وَلَكِنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَضْرِبُونَ: «إِنْ أَطْلَقْتَ هَذَا فَلَسْتَ مُجِيبًا لِقَيْصَرَ. كُلُّ مَنْ يَجْعَلُ نَفْسَهُ مَلِكًا يُقَامُ قَيْصَرَ» (يو ١٩: ٤-١٢).

الحكم

«فَلَمَّا سَمِعَ بِيلاطُسُ هَذَا الْقَوْلَ أَخْرَجَ يَسُوعَ، وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ الْوَلَايَةِ فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ «الْبَلَاطُ» وَبِالْعِبْرَانِيَّةِ «جَبْتَانَا». وَكَانَ اسْتِعْدَادُ الْفِضْحِ وَنَحْوِ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ. فَقَالَ لِلْيَهُودِ: «هُوَذَا مَلِكُكُمْ». فَصَرَخُوا: «حُدُّهُ! حُدُّهُ أَصْلِبْهُ!» قَالَ لَهُمْ بِيلاطُسُ: «أَصْلِبْ مَلِكُكُمْ؟» أَجَابَ رُؤَسَاءُ الكَهَنَةِ: «لَيْسَ لَنَا مَلِكٌ إِلَّا قَيْصَرُ». فَجَبَّتِيذَ اسْلَمَهُ إِلَيْهِمْ لِيُصَلَّبَ» (يو ١٩: ١٣-١٦).

ثالثا: المسيح على صليب الجلجثة

في طريق الجلجثة

«وَبَعْدَ مَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ الْوَدَاءَ وَالنَّبْشَةَ نِيَابَهُ، وَمَضَوْا بِهِ لِلصَّلْبِ. وَفِيمَا هُمْ خَارِجُونَ وَجَدُوا إِنْسَانًا قَبِيْرًا يَمْسُكُ بِسَمْعَانِ ابْنِ الْكَسْنَدُوسِ وَرُؤُفُسَ، فَسَخَّرُوهُ وَوَضَعُوا عَلَيْهِ الصَّلِيبَ لِيَحْمِلَهُ خَلْفَ يَسُوعَ.

وَتَبِعَهُ جُمُهُورٌ كَثِيرٌ مِنَ الشَّعْبِ، وَالنِّسَاءِ الْوَلَاتِي كُنَّ يَلْبِطْنَ أَيْضاً وَيُبْحَنَ عَلَيْهِ. فَانْتَمَتَ إِلَيْهِنَّ يَسُوعُ وَقَالَ: «يَا بَنَاتِ أورشليم، لَا تَبْكِينَ عَلَيَّ بَلِ ابْكِينَ عَلَيَّ أَنْفُسِكُنَّ وَعَلَى أَوْلَادِكُنَّ، لِأَنَّهُ هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَتَقُولُونَ فِيهَا: طوبى لِلْعَوَاقِرِ وَالطُّيُونِ الَّتِي لَمْ تَلِدْ وَالثَّدِيَّ الَّتِي لَمْ تُرْضِعْ. جَبَّتِيذَ يَبْتَدِئُونَ يَقُولُونَ لِلْجَبْتَالِ: اسْقِطِي عَلَيْنَا وَلَا كَامِ: لِأَنَّهُ إِنْ كَانُوا

بِالْعُودِ الرَّطْبِ يَفْعَلُونَ هَذَا، فَمَاذَا يَكُونُ بِالْيَاسِ؟». وَجَاءُوا أَيْضاً بِأَتْنَيْنِ آخَرَيْنِ مُذْنِبَيْنِ لِيُقْتَلَ مَعَهُ» (مت ٢٧: ٣١ و ٣٢، مر ١٥: ٢٠ و ٢١، لو ٢٣: ٢٦-٣٢، يو ١٩: ١٦ و ١٧).

الحل والمر

«وَجَاءُوا بِهِ إِلَى مَوْضِعٍ «جُلْجُثَةَ» الَّذِي تَفْسِيرُهُ مَوْضِعٌ «مَجْمُومَةٌ». وَأَعْطَوْهُ خَمْرًا مُمِزَّجَةً بِمُرٍ لِيَشْرَبَ فَلَمْ يَقْبَلْ» (مت ٢٦: ٣٣ و ٣٤، مر ١٥: ٢٢ و ٢٣).

صلبه بين لصين

«وَكَانَتِ السَّاعَةُ الثَّلَاثَةُ فَصَلَبُوهُ. وَكَانَ عُنْوَانُ عَلَيْهِ مَكْتُوبًا «مَلِكُ الْيَهُودِ». وَصَلَبُوا مَعَهُ لَصَيْنَ، وَاجِدًا عَنْ يَمِينِهِ وَآخَرَ عَنْ يَسَارِهِ. فَتَمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: «وَأُحْصِي مَعَ أَثْمَةٍ» (مت ٢٧: ٣٨، مر ١٥: ٢٥-٢٨، لو ٢٣: ٣٣، يو ١٩: ١٨).

صفحه عن قاتليه

«فَقَالَ يَسُوعُ: «يَا أَبْنَاءَهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لو ٢٣: ٣٤).

اقتسام ثيابه

«ثُمَّ إِنَّ الْعَشِكْرَ لَمَّا كَانُوا قَدْ صَلَبُوا يَسُوعَ، أَخَذُوا ثِيَابَهُ وَجَعَلُوهَا أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ، لِكُلِّ عَشِكْرِي قِسْمًا. وَأَخَذُوا الْقَمِيصَ أَيْضًا. وَكَانَ الْقَمِيصُ بَعِيرَ حِيَاطَةٍ، مَنْشُوجًا كُلُّهُ مِنْ فَوْقِ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «لَا نَشْقُهُ، بَلْ نَقْتَرِعُ عَلَيْهِ لِمَنْ يَكُونُ». لِيَتَمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: «اقْتَسَمُوا ثِيَابِي بَيْنَهُمْ وَعَلَى لِيَّاسِي الْقَوَا قُوَّةً». هَذَا فَعَلَهُ الْعَشِكْرُ.

ثُمَّ جَلَسُوا يَحْرُسُونَهُ هُنَاكَ» (مت ٢٧: ٣٥ و ٣٦، مر ١٥: ٢٤، يو ١٩: ٢٣ و ٢٤).

عنوان علته

«وَكَانَ عُنْوَانٌ مَكْتُوبٌ فَوْقَهُ بِأَعْرُفٍ يُونَانِيَّةٍ وَرُومَانِيَّةٍ وَعِبْرَانِيَّةٍ: «هَذَا هُوَ مَلِكُ الْيَهُودِ»

«قَرَأَ هَذَا الْعُنْوَانُ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ، لِأَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي صَلَّبَ فِيهِ يَسُوعُ كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ. وَكَانَ مَكْتُوبًا بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَالْيُونَانِيَّةِ وَاللَّاتِينِيَّةِ. فَقَالَ رُؤَسَاءُ كَهَنَةِ الْيَهُودِ لِبِيلاطُسَ: «لَا تَكْتُبْ: مَلِكُ الْيَهُودِ، بَلْ: إِنَّ ذَاكَ قَالَ أَنَا مَلِكُ الْيَهُودِ». أَجَابَ بِيلاطُسُ: «مَا كَتَبْتُ قَدْ كَتَبْتُ» (مت ٢٧: ٣٧، مر ١٥: ١٦، لو ٢٣: ٣٨، يو ١٩: ١٩-٢٢).

سخرية المارة

«وَكَانَ اجْتِمَاعٌ يُجَدِّفُونَ عَلَيْهِ وَهُمْ يَهْزُونَ رُؤُوسَهُمْ قَائِلِينَ: «يَا نَاقِضَ الْهَيْكَلِ وَبَنَائِهِ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، خَلِّصْ نَفْسَكَ! إِنْ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ فَانزِلْ عَنِّي الصَّلِيبِ!» (مت ٢٧: ٣٩ و ٤٠، مر ١٥: ٢٩ و ٣٠، لو ٢٣: ٣٥).

«وَكَانَ الشَّعْبُ وَاقِفِينَ يَنْظُرُونَ، وَالرُّؤَسَاءُ أَيْضاً مَعَهُمْ يَسَخَّرُونَ بِهِ قَائِلِينَ: خَلِّصْ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا فَلِيُخَلِّصَ نَفْسَهُ إِنْ كَانَ هُوَ الْمَسِيحُ مُخْتَارَ اللَّهِ. إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الْآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَتُؤَمِّنَ بِهِ! قَدْ أَتَكَلَّ عَلَى اللَّهِ، فَلْيُنْقِذْهُ الْآنَ إِنْ أَرَادَهُ! لِأَنَّهُ قَالَ: أَنَا ابْنُ اللَّهِ!» (مت ٢٧: ٤١-٤٣، مر ١٥: ٣١ و ٣٢، لو ٢٣: ٣٥).

استهزاء الجند

«وَالْجُنْدُ أَيْضاً اسْتَهْزَأُوا بِهِ وَهُمْ يَأْتُونَ وَيُقَدِّمُونَ لَهُ خَلًّا، قَائِلِينَ: «إِنْ كُنْتَ أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ فَخَلِّصْ نَفْسَكَ» (لو ٢٣: ٣٦ و ٣٧).

حوار اللصين

«وَبِذَلِكَ أَيْضاً كَانَ اللَّصَانِ اللَّذَانِ صَلَبَا مَعَهُ يُعَيَّرَانِهِ وَكَانَ وَاحِدٌ مِنَ الْمَذْنِبِينَ الْمَلْفَقِينَ يُجَدِّفُ عَلَيْهِ قَائِلًا: «إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحُ، فَخَلِّصْ نَفْسَكَ وَإِنَّا!» فَانْتَهَرَهُ الْآخَرُ قَائِلًا: «أَوَلَا أَنْتَ تَخَافُ اللَّهَ، إِذْ أَنْتَ تَحْتَ هَذَا الْحُكْمِ بِعَيْنَيْهِ؟ أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدَلٍ، لِأَنَّنَا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا، وَأَمَّا هَذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ». ثُمَّ قَالَ لِيَسُوعَ: «أَذْكَرُنِي يَا رَبِّ مَنْتَى جِئْتُ فِي مَلِكُوتِكَ» (مت ٢٧: ٤٤، مر ١٥: ٣٢، لو ٢٣: ٣٩-٤٢).

وعده للص بالفردوس

«فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنْكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدُوسِ» (لو ٢٣: ٤٣).

وفاؤه لأمه

«وَكَانَتْ وَاقِفَاتٍ عِنْدَ صَلِيبِ يَسُوعَ، أُمُّهُ، وَأُخْتُ أُمِّهِ مَرْيَمُ زَوْجَةُ كَلُوبَا، وَمَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أُمَّهُ، وَالْمَجْدَلِيَّةَ الَّذِي كَانَ جِئْتَهُ وَاقِفًا، قَالَ لِأُمِّهِ: «يَا أُمَّةَ، هُوَذَا ابْنُكَ». ثُمَّ قَالَ لِلْمَجْدَلِيَّةِ: «هُوَذَا ابْنُكَ». وَمِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ أَخَذَهَا التَّلْمِيذُ إِلَى حَاصِيَتِهِ» (يو ١٩: ٢٥-٢٧).

حداد الطبيعة

«وَكَانَ نَحْوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ، فَكَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا إِلَى السَّاعَةِ الثَّابِعَةِ. وَأَظْلَمَتِ الشَّمْسُ» (مت ٢٧: ٤٥، مر ١٥: ٣٣، لو ٢٣: ٤٤ و ٤٥).

الأمه النفسية

«وَفِي السَّاعَةِ الثَّابِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «إِلَهِي الْيُورِي لِمَا سَبَقْتَنِي؟» (الَّذِي تَفْسِيرُهُ: إِلَهِي إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟) فَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْخَاضِرِينَ لِمَا سَمِعُوا: «هُوَذَا يُنَادِي بِإِلِيلَا» (مت ٢٧: ٤٦-٤٩، مر ١٥: ٣٤-٣٦).

«بَعْدَ هَذَا رَأَى يَسُوعُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَمَلَ، فَلِكَيْ يَتِمَّ الْكِتَابُ قَالَ: «أَنَا عَطِشَانٌ». وَكَانَ إِثَاءً مَوْضِعًا تَمَلُّوا خَلًا، فَمَلَأُوا إِسْفِنْجَةً مِنَ الْخَلِّ، وَوَضَعُوهَا عَلَى زُوفًا وَقَدَّمُوهَا إِلَى فَمِهِ وَسَقَاهُ وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَقَالُوا: «أَتْرُكْ. لِتَرَى هَلْ يَأْتِي إِلَيْنَا يَحْلُصُهُ» (يو ١٩: ٢٨ و ٢٩، مر ١٥: ٣٦، مت ٢٧: ٤٨ و ٤٩).

«فَلَمَّا أَخَذَ يَسُوعُ الْخَلَّ قَالَ: «قَدْ أُكْمِلَ» (يو ١٩: ٣٠).

«وَنَادَى يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي». وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَسْلَمَ الرُّوحَ» (مت ٢٧: ٥٠، مر ١٥: ٣٧، لو ٢٣: ٤٦، يو ١٩: ٣٠).

«وَأَنشَقَّ حِجَابُ الْهَيْكَلِ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقِ إِلَى أَسْفَلٍ. وَالْأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ، وَالصُّحُورُ تَشَقَّقَتْ، وَالْقُبُورُ تَفْتَحُحُتْ، وَقَامَ كَثِيرٌ مِنَ أَجْسَادِ الْقَدِيسِينَ الرَّاقِدِينَ وَخَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ قِيَامَتِهِ، وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ، وَظَهَرُوا لِكَثِيرِينَ» (مت ٢٧: ٥٢ و ٥٣، مر ١٥: ٣٨، لو ٢٣: ٤٧).

«وَكُلُّ الْجَمُوعِ الَّذِينَ كَانُوا مُجْتَمِعِينَ لِهَذَا الْمَنْظَرِ، لَمَّا أَبْصَرُوا مَا كَانَ، رَجَعُوا وَهُمْ يَفْرَعُونَ صُدُورَهُمْ» (لو ٢٣: ٤٨).

«وَكَانَ جَمِيعُ مَعَارِفِهِ، وَنِسَاءُ كُرَّ قَدْ تَبِعْنَهُ مِنَ الْجَلِيلِ، وَاقْبِينِ مِنْ بَعِيدٍ يَنْظُرُونَ ذَلِكَ. وَيَتَهَنَّئْنَ مَرْيَمُ الْمُجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ زَوْجَتَهُ كَلُوبَا وَمَرْيَمُ أُمُّ يَحْيَى الصَّغِيرِ وَيُوسَى، وَسَالُومَةُ وَأُمُّ ابْنَيْ زَبْدِي اللَّوَاتِي أَيْضًا تَبِعْنَهُ وَتَحَدَّثْنَهُ حِينَ كَانَ فِي الْجَلِيلِ. وَأَخْرَجَ كَثِيرَاتِ اللَّوَاتِي صَعِدْنَ مَعَهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ» (مت ٢٧: ٥٥ و ٥٦، مر ١٥: ٤٠ و ٤١، لو ٢٣: ٤٩).

«ثُمَّ إِذْ كَانَ اسْتِعْدَادًا، فَلِكَيْ لَا تَبْقَى الْأَجْسَادُ عَلَى الصَّلِيبِ فِي السَّبْتِ، لِأَنَّ يَوْمَ ذَلِكَ السَّبْتِ كَانَ عَظِيمًا، سَأَلَ الْيَهُودُ بِيلاطُسَ أَنْ تُكْسَرَ سِيقَانُهُمْ وَيُرْفَعُوا.

فَأَتَى الْعَسْكَرُ وَكَسَرُوا سَاقِي الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ الْمَصْلُوبِينَ مَعَهُ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمَّا جَاءُوا إِلَيْهِ لَمْ يَكْسِرُوا سَاقِيَهُ، لِأَنَّهُمْ رَأَوْهُ قَدْ مَاتَ.

لِكِنَّ وَاحِدًا مِنَ الْعَسْكَرِ طَعَنَ جَنْبَهُ بِحَرْبِيَّةٍ، وَلِوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ وَمَاءٌ.

وَالَّذِي عَاتَيْنَ شَهِدًا، وَشَهِدَتْهُ حَقًّا، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ

يَقُولُ الْحَقَّ لِتُؤْمِنُوا أَنْتُمْ. لِأَنَّ هَذَا كَانَ لِيَتِمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: «عَظُمَ لَا يُكْسَرُ مِنْهُ». وَأَيْضًا يَقُولُ كِتَابُ آخَرُ: «سَيَنْظُرُونَ إِلَى الَّذِي طَعَنُوهُ» (يو ١٩: ٣١-٣٧).

«وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ، جَاءَ رَجُلٌ غَنِيٌّ مِنَ الرِّمَّةِ اسْمُهُ يُوسُفُ - وَكَانَ هُوَ أَيْضًا تَلْمِيزًا لِيَسُوعَ وَلَكِنَّ حُفِيَّةً لِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ، وَكَانَ هُوَ أَيْضًا يَنْتَظِرُ مَلَكَوتَ اللَّهِ وَكَانَ مُشِيرًا وَرَجُلًا صَالِحًا بَارًا - هَذَا لَمْ يَكُنْ مُوَافِقًا لِأَرْيَاهِمَ وَعَمَلِهِمْ.

فَتَجَسَّسَ وَدَخَلَ إِلَى بِيلاطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ. فَتَعَجَّبَ بِيلاطُسُ أَنَّهُ مَاتَ كَذَا سَرِيعًا.

فَدَعَا قَائِدَ الْيَمَّةِ وَسَأَلَهُ: «هَلْ لَهُ زَمَانٌ قَدْ مَاتَ؟» وَلَمَّا عَرَفَ مِنْ قَائِدِ الْيَمَّةِ، وَهَبَ الْجَسَدَ لِيُوسُفَ» (مت ١٧: ٥٧ و ٥٨، مر ١٥: ٤٢-٤٦، لو ٢٣: ٥٠-٥٢، يو ١٩: ٣٨).

«أَسْتَرَى (يوسف) كَنَانًا. وَجَاءَ أَيْضًا يَهُودِيٌّ يُوسُفُ، الَّذِي أَتَى أَوَّلًا إِلَى يَسُوعَ لَيْلًا، وَهُوَ حَامِلٌ مَرْيَمَ مَرْيَمَ وَغُورِدَ نَحْوِ مِثْلِهِ مَتًا. فَأَخَذَا جَسَدَ يَسُوعَ، وَلَفَّاهُ بِأَكْفَانٍ مَعَ الْأَطْيَابِ، كَمَا لِيَهُودٍ عَادَةً أَنْ يَكْفِنُوا» (مت ٢٧: ٥٩، مر ١٥: ٤٦، لو ٢٣: ٥٣، يو ١٩: ٣٩ و ٤٠).

«وَكَانَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي ضَلَبَ فِيهِ بُسْتَانًا، وَفِي الْبُسْتَانِ قَبْرٌ جَدِيدٌ لَمْ يُوضَعْ فِيهِ أَحَدٌ قَطُّ. فَهَنَّاكَ وَضَعَا يَسُوعَ لِسَبَبِ اسْتِعْدَادِ الْيَهُودِ، لِأَنَّ الْقَبْرَ كَانَ قَرِيبًا

وَتَبِعْتَهُ نِسَاءٌ كُرَّ قَدْ أَتَيْنَ مَعَهُ مِنَ الْجَلِيلِ، وَنَظَرْنَ الْقَبْرَ وَكَيْفَ وَضِعَ جَسَدُهُ.

وَكَانَتْ مَرْيَمُ الْمُجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يُوسَى تَنْظُرَانِ أَيْنَ وَضِعَ

فَرَجَعْنَ وَأَعْدَدْنَ حُطُوطًا وَأَطْيَابًا. وَفِي السَّبْتِ اسْتَرَحْنَ حَسَبَ الْوَصِيَّةِ» (مت ٢٧: ٦٠ و ٦١، مر ١٥: ٤٦ و ٤٧، لو ٢٣: ٥٣-٥٦، يو ١٩: ٤١ و ٤٢).

«وَفِي الْعَدِّ الَّذِي بَعْدَ الْاسْتِعْدَادِ اجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِيسِيُّونَ إِلَى بِيلاطُسَ قَائِلِينَ: «يَا سَيِّدُ، قَدْ تَدَكَّرْنَا أَنَّ ذَلِكَ الْمُضِلَّ قَالَ وَهُوَ حَقٌّ: إِنِّي بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَقُومُ. فَهَمَزُ بَضْبِطِ الْقَبْرِ إِلَى الْيَوْمِ الثَّلَاثِ، لِئَلَّا يَأْتِيَ تَلَامِيذُهُ لَيْلًا وَيَسْرِقُوهُ، وَيَقُولُوا لِلشَّعْبِ إِنَّهُ قَامَ مِنَ الْأَمْوَاتِ، فَتَكُونَ الضَّلَالَةُ الْأَخِيرَةَ أَسْرًا مِنَ الْأُولَى!»

فَقَالَ لَهُمْ بِيلاطُسُ: «عِنْدَكُمْ حُرَامٌ. إِذْهَبُوا وَأَضْبُطُوهُ كَمَا تَعْلَمُونَ» (مت ٢٧: ٦٢-٦٦).

«وَبَعْدَ السَّبْتِ، عِنْدَ فَجْرِ أَوَّلِ الْأَشْبُوعِ، جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمُجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الْأُخْرَى لِتَنْظُرَا الْقَبْرَ. وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ، لِأَنَّ مَلَكَ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَخَرَخَ الْحَجَرَ عَنِ الْبَابِ، وَجَلَسَ عَلَيْهِ. وَكَانَ مَنْظَرُهُ كَالثَبْرِ، وَنِبَاسُهُ أَيْضًا كَالثَلْجِ. فَمِنْ خَوْفِهِ أَرْتَعَدَ الْحُرَامُ وَصَارُوا كَأَمْوَاتٍ.

فَقَالَ الْمَلَكَ لِلْمَرْأَتَيْنِ: «لَا تَخَافَا أَنْتُمَا، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمَا تَطْلُبَانِ يَسُوعَ الْمَصْلُوبَ. لَيْسَ هُوَ هَهُنَا، لِأَنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ. هَلُمَّا انظُرَا الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ الرَّبُّ مُضْطَبِّعًا فِيهِ. وَأَدْهَبَا سَرِيعًا قَوْلًا لِتَلَامِيذِهِ إِنَّهُ قَدْ قَامَ مِنَ الْأَمْوَاتِ. هَا هُوَ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ. هُنَاكَ تَرَوْنَهُ» (مت ٢٨: ١-٧، مر ١٦: ١-٨، لو ٢٤: ١-١١، يو ٢٠: ١-١٨).

وقد ظهر المسيح مراراً عديدة في مدة أربعين يوماً، لأشخاص كثيرين فرادى وجماعات، وفي أماكن شتى وأوقات مختلفة، يروونه ويجسسون آثار المسامير والحربة، ويأكلون ويشربون معه. ويتحدث إليهم ويوصيهم وأخيراً صعد إلى السماء على مرأى منهم. فسجدوا له ورجعوا فرح يبشرون بقيامته المحيية.

(مر ١٦: ٩، يو ٢٠: ١٤، مر ١٦: ١٢ و ١٣، لو ٢٤: ١٣-١٣، مر ١٦: ١٤-١٨، يو ٢٠: ١٩-٢٣، يو ٢٠: ٢٤-٢٩، مت ٢٨: ١٦-٢٠، أع ١: ٣-٨، لو ١٩: ١٦ و ٢٠، لو ٢٤: ٥٠-٥٣، أع ٩: ١-١٢).

«وَبِقُوَّةِ عَظِيمَةٍ كَانَ الرُّسُلُ يُؤَدُّونَ الشَّهَادَةَ بِقِيَامَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ، وَنِعْمَةً عَظِيمَةً كَانَتْ عَلَى جَمِيعِهِمْ» (أع ٤: ٣٣).

وان نظرة عامة لسفر أعمال الرسل الذي سجله لوقا الطبيب ترينا أن الرسل بعد صعود المسيح إلى السماء كانت كل تعاليمهم وأعمالهم مركزه في موت المسيح وقيامته. وقد أحتملوا في سبيل الشهادة لهذه الحقيقة كل أنواع الاضطهاد والميتات.

ففي دفاعهم أمام اليهود كانوا يقولون «إِلَهُ آبَائِنَا أَقَامَ يَسُوعَ الَّذِي أَنْتُمْ قَتَلْتُمُوهُ مُعَلِّقِينَ إِيَّاهُ عَلَى حَشَبَةٍ» (أع ٥: ٣٠).

وفي صلواتهم كانوا يقولون «لَأَنَّهُ بِالْحَقِيقَةِ اجْتَمَعَ عَلَى فَتَاكَ الْقُدُوسِ يَسُوعَ، الَّذِي مَسَحْتَهُ، هِيروُدُسُ وَبِيلاطُسُ الْبُنْطِيُّ مَعَهُ أُمَّمٌ وَشُعُوبٌ إِسْرَائِيلِ، لِيَفْعَلُوا كُلَّ مَا سَبَقَتْ فَعَيْتَتْ يَدُكَ وَمَشُورَتُكَ أَنْ يَكُونَ» (أع ٤: ٢٧ و ٢٨).

وفي هذا المقام أذكر بإيجاز بعض ما جاء في الخطابات القوية التي فاه بها بطرس واستفانوس وفيلبس ويولس أمام الجماهير من يهود ووثنيين ومسيحيين في طول البلاد وعرضها عن موت المسيح.

من خطابات بطرس

فقال بطرس في خطابه المتهب يوم الخمسين «هذا أَحَدُكُمْ مُسَلِّماً بِمَشُورَةِ اللَّهِ الْمُتُومَةِ وَعَلِمِهِ السَّابِقِ، وَبِأَيْدِي أُمَّةٍ صَالِبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ. الَّذِي أَقَامَهُ اللَّهُ نَاقِضاً أَوْ جَاعَ الْمَوْتِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمَكِّناً أَنْ يَمْسَكَ مِنْهُ» (أع ٢: ٢٣-٢٤).

وقال في خطابه في رواق سليمان «وَأَمَّا اللَّهُ فَمَا سَبَقَ وَأَنْبَأَ بِهِ بِأَقْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ، أَنْ تَتَأَلَّمَ الْمَسِيحُ قَدْ تَمَّمَهُ هَكَذَا» (أع ٣: ١٨).

وقال في خطابه أمام مجمع السنهدريم بعد شفاء الأعرج «فَلْيَكُنْ مَعْلُوماً عِنْدَ جَمِيعِكُمْ وَجَمِيعِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ، أَنَّهُ بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ، الَّذِي صَالِبْتُمُوهُ أَنْتُمْ، الَّذِي أَقَامَهُ اللَّهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، بِذَلِكَ وَقَفَ هَذَا أَمَامَكُمْ صَاحِحاً» (أع ٤: ١٠).

وقال في خطابه في بيت كرنيليوس «الَّذِي أَيْضاً قَتَلُوهُ مُعَلِّقِينَ إِيَّاهُ عَلَى خَشَبَةٍ. هَذَا أَقَامَهُ اللَّهُ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ» (أع ١٠: ٣٩ و ٤٠).

من خطاب استفانوس

وقال استفانوس وهو يحاكم أمام اليهود «أَيُّ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يَضْطَهْدُهُ آبَاؤُكُمْ، وَقَدْ قَتَلُوا الَّذِينَ سَبَقُوا فَأَنْبَأُوا بِمَجِيءِ النَّبِيِّ، الَّذِي أَنْتُمْ الْآنَ صِرْتُمْ مُسَلِّمِيهِ وَقَاتِلِيهِ» (أع ٧: ٥٢).

من حديث فيلبس

وكان حديث فيلبس المبشر مع الخصي قول إشعياء «فِي تَوَاضِعِهِ أَنْتَرَعَ قَصَاؤُهُ، وَجِبَلُهُ مِنْ يُخَيِّرِ بِهِ، لِأَنَّ حَيَاتِهِ تَنْتَرَعُ مِنَ الْأَرْضِ؟» (أع ٨: ٣٣).

من خطابات بولس

وقال بولس الرسول في مجمع بيسيدية «وَمَعَ أَنْتُمْ لَمْ يَجِدُوا عِلَّةً وَاحِدَةً لِلْمَوْتِ طَلَبُوا مِنْ بِيلاطس أَنْ يُقْتَلَ. وَلَمَّا تَمَّمُوا كُلَّ مَا كَتَبَ عَنْهُ، أَنْزَلُوهُ عَنِ الْخَشَبَةِ وَوَضَعُوهُ فِي قَبْرِ. وَلَكِنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ» (أع ١٣: ٢٨-٣٠).

وقال في محفل أريوس باغوس في أثينا «لِأَنَّهُ أَقَامَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ مُزْمِعٌ أَنْ يَدِينِ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ، بِرَجُلٍ قَدْ عَيَّنَّهُ، مُقَدِّمًا لِلْجَمِيعِ إِيْمَانًا إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ» (أع ١٧: ٣١).

وقال في خطابه لقسوس كنيسة أفسس «لِتَرْعُوا كَنِيسَةَ اللَّهِ الَّتِي أَقْتَنَاهَا بِدَمِيهِ» (أع ٢٠: ٢٨).
وقال في خطابه أمام الملك أغريباس «وَأَنَا لَا أَقُولُ

شَيْئاً غَيْرَ مَا تَكَلَّمُ الْأَنْبِيَاءُ وَمُوسَى أَنَّهُ عَتِيدٌ أَنْ يَكُونَ: إِنَّ يَوْمَ الْمَسِيحِ، يَكُنْ هُوَ أَوَّلَ قِيَامَةِ الْأَمْوَاتِ، مُزْمِعاً أَنْ يُنَادِيَ بِنُورِ لِلشَّعْبِ وَبِالْأَمِّ» (أع ٢٦: ٢٢ و ٢٣).

هذا وليعلم الأخ المسلم العزيز أن هؤلاء الرسل الحواريين إنما آمنوا بالمسيح، وشهدوا له، وكتبوا عنه ليس نتيجة لتعليم تلقوه من الناس ولكن نتيجة لوحي تلقوه من الله جل شأنه.

كقول القرآن «وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي» (سورة المائدة ١١١: ٥).

٥ - رسائل فيلسوف المسيحية

«وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَخَاشِيَ لِي أَنْ أَفْتَحِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ» (غل ٦: ١٤).

كان بولس الرسول معاصراً للمسيح وكان يهودياً متعصباً، فبعد صعود المسيح بثلاث سنوات ونصف اشترك في قتل استفانوس الشهيد.

ولكن لما ظهر له المسيح من السماء في طريق دمشق صار مسيحياً غيوراً وأسس كنائس كثيرة في الشرق والغرب.

ويعتبر تعليمه عن موت المسيح المحور الأساسي لكل أقواله كما نرى ذلك جلياً في رسائله الأربعة عشر.

فقد ورد في هذه الرسائل وقائع الصلب بالتفصيل. فأشار إلى الذين صلبوه قائلاً «الَّذِينَ قَتَلُوا الرَّبَّ يَسُوعَ وَأَنْبِيَاءَهُمْ، وَأَضْطَهَدُونَا نَحْنُ. وَهُمْ غَيْرُ مُرْضِينَ لِيهِ وَأَضْدَادٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ» (١ تس ٢: ١٥).

وأشار إلى جهلهم الذي دفعهم لصلبه قائلاً «لِأَنَّ لَوْ عَرَفُوا لَمَّا صَالَبُوا رَبَّ أَجْبَدَ» (١ كو ٢: ٨).

وأشار إلى الليلة التي أسلم فيها قائلاً «إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا، أَخَذَ خُبْزاً وَشَكَرَ فَكَسَّرَ، وَقَالَ: «خُذُوا كُلُّوا هَذَا هُوَ جِسْمِي الْمَكْسُورَ لِأَجْلِكُمْ. اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي». كَذَلِكَ الْكَأْسُ أَيْضاً بَعْدَ مَا تَعَشَّوْا، قَائِلاً: «هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي. اصْنَعُوا هَذَا كُلَّمَا شَرَبْتُمْ لِذِكْرِي» (١ كو ١١: ٢٣-٢٥).

وأشار إلى آلامه في جنسيمياني قائلاً «الَّذِي، فِي أَيَّامِ جِسْمِيهِ، إِذْ قَدَّمَ بِضُرَاحٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعَ طَلَبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسَمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ» (عب ٥: ٧).

وأشار إلى محاكمته أمام بيلاطس البنطي قائلاً «الْمَسِيحُ يَسُوعَ الَّذِي شَهِدَ لَدَى بِيلاطسِ الْبَنْطِيِّ بِالْأَعْتِرَافِ الْحَسَنِ» (١ تي ٦: ١٣).

وأشار إلى صلبه قائلاً «إِذْ هُمْ يَصْلُبُونَ لِأَنْفُسِهِمْ أَبْنَ اللَّهَ ثَانِيَةً وَيُسَهَّرُونَهُ» (عب ٦: ٦).

وأشار إلى سفك دمه خارج أورشليم قائلاً «فَإِنَّ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي يُدْخَلُ بِدَمِهَا عَنِ الْخَطِيئَةِ إِلَى «الْأَقْدَاسِ» بِيَدِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ تُحْرَقُ أَجْسَامُهَا خَارِجَ الْحَلَّةِ. لِذَلِكَ يَسُوعُ أَيْضاً، لِكَيْ يُقَدَّسَ الشَّعْبُ بِدَمِ نَفْسِهِ، تَأَلَّمَ خَارِجَ الثَّيَابِ» (عب ١٣: ١١ و ١٢).

وأشار إلى موته ودفنه وقيامته قائلاً «فَإِنِّي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الْأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضاً: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ حَسَبَ الْكُتُبِ» (١ كو ١٥: ٣ و ٤).

وأشار إلى ظهوره مراراً بعد قيامته قائلاً «وَأَنَّهُ ظَهَرَ لِيَصِفَا نَوْمًا لِيَلَاثِنِي عَشْرًا. وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ دَفْعَةً وَاحِدَةً لِأَكْثَرِ مِنْ خَمْسِمِئَةِ أَخٍ، أَكْثَرُهُمْ بَاقِي إِلَى الْآنَ. وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ رَفَدُوا. وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ لِيَعْقُوبَ، ثُمَّ لِلرُّسُلِ أَجْمَعِينَ. وَأَخِرَ الْكُلِّ كَأَنَّهُ لِلسَّقَطِ ظَهَرَ لِي أَنَا» (١ كو ١٥: ٥-٨).

وأشار إلى صعوده قائلاً «بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطَهيراً لِحَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعِظَمَةِ فِي الْأَعَالِي» (عب ٣: ١).

وقد حلل موضوع الصلب تحليلاً لاهوتياً عميقاً، فبين أن الصليب هو المشهد العظيم الذي نرى فيه:

أ - محبة الله الأب

ب - طاعة الابن الوحيد

ج - قوة الروح القدس

د - صورة الكمال الأسمى

هـ - نهاية العهد القديم

و - أساس العهد الجديد

ز - لغز العالم الحاضر

أ - محبة الله الأب

أنظروا ما أعظم محبة الله! ففي محبته الفائقة سر بأن يسحق ابنه الوحيد ويذله على عود الصليب عوضاً عنا نحن حفنة التراب الأثمة!

قال بولس الرسول «وَلَكِنَّ اللَّهَ يَبْنِي مَحَبَّتَهُ لَنَا، لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدَ خُطَاةٍ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا» (رو ٥: ٨).

يا للعجب! إن سيف عدالة الله قد عبر عنا نحن الخطاة وقد شبع من دم ابنه القدوس وبهذا تم الصلح بيننا وبينه تعالى وارتضى أن يعانقنا كأبناء مفديين مبررين.

قال بولس الرسول «وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ، عَامِلًا الصَّلَاحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ، سَوَاءً كَانَ مَا عَلَى الْأَرْضِ أَمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ. وَأَنْتُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً أَعْجَبِينَ وَأَعْدَاءً فِي الْفِكْرِ، فِي الْأَعْمَالِ الشَّرِيرَةِ، قَدْ صَالَحْتُمْ الْآنَ فِي جِسْمِ بَشَرِيَّتِهِ بِالْمَوْتِ، لِخُضْرُكُمْ قَدِيمِينَ وَبِلَا لَوْمٍ وَلَا شَكْوَى أَمَامَهُ» (كو ١: ٢٠-٢٢).

أنظروا ما أعظم طاعة المسيح! إنه جاء ليعمل مشيعة الله في فداء البشر. فاستهان بالخزي ليقوم في ملاء السرور بعملية الفداء. فتطوع وأطاع حتى النهاية.

قال بولس الرسول «وإذ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَيَانِ سَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ مَوْتِ الصَّليبِ» (في ٨:٢).

وفي طاعته المرحمة لقبول الآلام ظهرت طبيعته الكاملة كابن مطيع مكمل إلى الأبد (عب ١٠:٢).

وفي طاعته المخلصة التي لا يشوبها عيب برهن أنه الابن القدوس الجدير بالقيامة من الاموات «وَتَعَيَّنَ ابْنُ اللَّهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقُدَّاسَةِ، بِالْقِيَامَةِ مِنَ الْأَمْوَاتِ» (رو ٤:١).

وفي طاعته المملوءة بالانضاع والخضوع برهن أنه الجدير بالرفعة والسيادة «لِأَنَّهُ لِهَذَا مَاتَ الْمَسِيحُ وَقَامَ وَعَاشَ، لِكَيْ يَسُودَ عَلَى الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ» (رو ٩:١٤).

وفي طاعته المضحية لاحتمال الآلام بالنبابة عن البشر برهن أنه هو الجدير بأن يتبوأ مركز الشفاعة في البشر «الْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ، بَلَّ بِالْحَرْبِ قَامَ أَيْضاً، الَّذِي هُوَ أَيْضاً عَنْ يَمِينِ اللَّهِ، الَّذِي أَيْضاً يَشْفَعُ بَيْنَا» (رو ٨:٣٤).

وفي طاعته الجريفة للنزول في معمعة الخطية والموت برهن أنه البطل الجدير بإنقاذ البشر من براثن إبليس «فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الْأَوْلَادُ فِي اللَّحْمِ وَالْدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتَقَ أَوْلِيَاكَ الَّذِينَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ» (عب ١٤:٢ و١٥).

وفي طاعته العميقة تحت ثقل الخطية والموت برهن أنه الجدير باقتلاع جذور الخطية والموت إلى الأبد «وَلِكِنَّهُ الْآنَ قَدْ أَظْهَرَ مَوْتَهُ عِنْدَ انْقِضَاءِ الدَّهْورِ لِيُطِيلَ الْخَطِيئَةَ بِدَيْحَةِ نَفْسِهِ» (عب ٢٦:٩).

وهكذا تجلت في الصليب نعمة المسيح بكل معانيها «وَأَمَّا أَظْهَرَتْ الْآنَ بَطُّهُورٍ مُخْلِصِنًا يَسُوعَ الْمَسِيحَ، الَّذِي أَبْطَلَ الْمَوْتَ وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ بِوَسِطَةِ الْإِنْجِيلِ» (٢ تي ١:١٠).

ج - قوة الروح القدس

ما أقوى الروح القدس وهو يستخدم كلمة الصليب في تجديد الخاطئ!

فقصة الفداء لا تؤثر في القلب النجيس الخداع إلا بقوة الروح القدس القادر أن يصير الإنسان خليقة جديدة.

والروح القدس هو الذي يكسر كبرياء الإنسان

فيعترف أنه لا بر فيه ولا خلاص له إلا بالإيمان البسيط المتواضع بكفارة الصليب.

وهو الذي يصور المسيح المصلوب أمام أذهاننا فنسكب محبته في قلوبنا. وهذه الحبة الناشئة في قلوبنا تشيع القوة والفرح والقداسة في حياتنا.

ولا نبقى بعد تحت الناموس الذي يهددنا كعصاة بالهلاك بل نصير تحت النعمة التي تؤكد لنا الصفر والغفران.

والروح القدس يسكن في قلوبنا وهو يخبرنا دائماً بما فعله المسيح لأجلنا ويدعونا للاعتماد عليه والثبات فيه.

وهو الذي يطرد الخوف من قلوبنا ويشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. وهو الذي يقربنا إلى ابنه بجسارة ويعيننا لتناجي الله بحنين وأشواق وأناة لا يُنطق بها.

فالمسيح هو الذي عمل الكفارة على الصليب والروح القدس هو الذي يعلن الكفارة للإنسان ويجدده ويمتعه بجميع مزاياها في الحياة الحاضرة والعتيدة.

فباستحقاق الصليب لننا التبرير والتحرير والتطهير وجميع بركات الفداء، والروح القدس هو الذي يحقق لنا هذه البركات ويجريها فينا.

والإنجيل يخبرنا عن التبرير قائلاً «مُتَبَرِّرِينَ مَجَانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي قَدَّمَهُ اللَّهُ كَفَّارَةً بِالْإِيمَانِ بِدَمِيهِ، لِإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا الشَّالِغَةِ بِإِفْهَالِ اللَّهِ» (رو ٣:٢٤ و٢٥).

ويقول أيضاً: «الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأَقِيمَ لِأَجْلِ تَبْرِيرِنَا» (رو ٤:٢٥).

ويقول أيضاً «وَلَكِنَّ الْكُلَّ مِنَ اللَّهِ، الَّذِي صَالِحًا لِنَفْسِهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَأَعْطَانَا خِدْمَةَ الْمُصَالِحَةِ، أَيْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَوَاضِعًا بَيْنًا كَلِمَةَ الْمُصَالِحَةِ. إِذَا نَسَعَى كَشْفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللَّهَ يَعْظُمُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: نَصَالِحُوا مَعَ اللَّهِ. لِأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيئَةً، خَطِيئَةً لِأَجْلِنَا، لِتَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللَّهِ فِيهِ» (٢ كو ٥:١٨-٢١).

والروح القدس ينير ضمائرنا بهذه الكلمة الإلهية المكتوبة فنطمئن لكفارة المسيح فلا نشعر بلوم أو بتبكيك أو دينونة بل نشعر بالبر والسلام والفرح ويشهد الروح القدس مع ضمائرنا أننا قد امتلكننا البر الأبدي.

ولهذا قال بولس الرسول لأهل كورنثوس «وَهَكَذَا كَانَ أَنَّا مِنْكُمْ. لَكِنْ اغْتَسَلْنَاهُمْ، بَلَّ تَقَدَّسْنَاهُمْ، بَلَّ تَبَيَّرْنَاهُمْ بِأَسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ الْهِنَا» (١ كو ١١:٦).

والإنجيل يخبرنا عن التحرير قائلاً «لِأَنَّ نَامُوسَ

رُوحِ الْحَيَاةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَدْ اعْتَقَنِي مِنْ نَامُوسِ الْخَطِيئَةِ وَالْمَوْتِ» (رو ٨:٢).

ويقول أيضاً «إِذَا يَا إِخْوَتِي أَنْتُمْ أَيْضاً قَدْ مُثِّمٌ لِلنَّامُوسِ بِجَسَدِ الْمَسِيحِ، لِكَيْ تَصِيرُوا لِآخَرَ، لِلَّذِي قَدْ أُقِيمَ مِنَ الْأَمْوَاتِ لِتُسَمَّرَ إِلَيْهِ» (رو ٧:٤).

فالإنسان الذي يعمل الخطية هو عبد لها، ونور الناموس لا يحرره بل يكشف له شر الخطية ويحقق له اللعنة والهلاك ويتركه في العجز والعبودية، لكن الروح القدس الذي يحيي يعلن حريتنا من الخطية ومن الناموس بكفارة المسيح ففي يسر وسهولة نسمو عن الخطية ونعمل البر.

ولهذا قال بولس الرسول «لِأَنَّكَ إِنْ اعْتَرَفْتَ بِفِعْمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَأَمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، خَلَّصْتَ» (رو ١٠:٩).

والإنجيل يخبرنا عن التطهير قائلاً «الَّذِي بَدَّلَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا، لِكَيْ يُفَدِّينَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّا غُيُورًا فِي أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ» (تي ٢:٤).

ويقول أيضاً «فَكَمْ بِالْحَرْبِ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحِ أَرْزَلِي قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِلاَ عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّبَةٍ لِتَتَّخِذُوا اللَّهَ الْحَيَّ» (عب ٩:١٤).

وأما عن الفداء عامة فيقول «الَّذِي بَدَّلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لِأَجْلِ الْجَمِيعِ» (١ تي ٢:٦).

وأيضاً «الَّذِي لَنَا فِيهِ الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا» (كو ١:٤).

وأيضاً «لِأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ تَحْضُرُنَا. إِذْ نَحْنُ نَحْسِبُ هَذَا: أَنَّهُ إِنْ كَانَ وَاحِدٌ قَدْ مَاتَ لِأَجْلِ الْجَمِيعِ. فَالْجَمِيعُ إِذَا مَاثُوا» (٢ كو ٥:١٤).

وأيضاً «لَكِنِّي يَدُوقُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ الْمَوْتَ لِأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ» (عب ٩:٢).

والروح القدس الحال فينا هو العربيون والختم لكل امجاد الفداء العتيدة.

لهذا يقول بولس الرسول «وَلَا نُحْزِنُوا رُوحَ اللَّهِ الْقُدُوسَ الَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ الْفِدَاءِ» (أف ٤:٣٠).

د - صورة الكمال الاسمي

حقاً أن الصليب هو صورة الكمال الاسمي والمثل الوحيد الأعلى لكل فضيلة وصلاح.

وما أجمل ما قاله بولس الرسول «لِاعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَسِرِّكَهَ الْأَمِيهِ، مُسْتَهَبَّاهُ بِمُوتِهِ» (في ٣:١٠).

فالمسيح المصلوب هو خير مثال يُحتذى وأسوة تُقتنى. ففي آلامه بالصليب رسم لنا طريقاً سلطانياً لنحذو حذوه ونسج على منواله.

فهو رائدنا في التضحية العالية حتى نبذل أنفسنا من أجل خير الآخرين.

كقوله «لَا تَنْظُرُوا كُلَّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لِنَفْسِهِ، بَلَّ كُلَّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لِآخَرِينَ أَيْضاً. فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هَذَا

الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً: الذي إذ كان في صورة الله، لم يخسب حُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا لِه. لِكِنَّهُ أَحَلَّى نَفْسَهُ، أَحَدًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وَجَدَ فِي الْهَيْبَةِ كَانْسَانًا، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ مَوْتِ الصَّلِيبِ» (في ٤: ٢-٨).

وهو رائدنا في المحبة بعضنا لبعض من قلب طاهر بشدة.

كقوله «وَأَسْلُكُوا فِي أَحَبَّةٍ كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضًا وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا، فُؤَانًا وَذَبِيحَةً لِه رَائِحَةً طَيِّبَةً» (أف ٥: ٢).

وهو رائدنا في المحبة الدائمة المتفانية المتبادلة بين الزوج والزوجة.

كقوله «أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحْبَبُوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِهَا، لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهَّرًا بِإِيَّاهَا بِعَسَلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ، لِكَيْ يُحَضِّرَهَا لِتَقْبَلَهُ كَنِيسَةً مَجْدَّةً، لَا دَنَسَ فِيهَا وَلَا غَضَنَ أَوْ شَيْءٍ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبَلَا عَيْبٍ» (أف ٥: ٢٥-٢٧).

وهو رائدنا في الصبر زاحتمال الآلام مهما اضطرم سعيرها.

كقوله «وَلِنَحْضِرُ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَانًا، نَاطِرِينَ إِلَى رَيْسِ الْإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ، الَّذِي مِنْ أَجْلِ الشَّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ أَحْتَمَلُ الصَّلِيبَ مُسْتَهِينًا بِالْحِزْيِ، فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللَّهِ. فَتَفَكَّرُوا فِي الَّذِي أَحْتَمَلُ مِنَ الْخَطَاةِ مُقَاوَمَةً لِنَفْسِهِ مِثْلَ هَذِهِ لِقَالًا تَكَلَّمُوا وَتَحَوُّرُوا فِي نَفُوسِكُمْ» (عب ١٠: ٣).

وهو رائدنا في الثبات على الحق حتى النفي والموت.

كقوله «لِذَلِكَ يَسُوعُ أَيْضًا، لِكَيْ يُقَدِّسَ الشَّعْبَ بِدَمِ نَفْسِهِ، تَأَلَّمَ خَارِجَ الْبَابِ. فَلَنُخْرِجْ إِذَا إِلَيْهِ خَارِجَ الْحَلَّةِ حَامِلِينَ عَارَةً» (عب ١٣: ١٢ و١٣).

هـ - نهاية العهد القديم

إن في الصليب نهاية العهد القديم لأن كل فرائض العهد القديم إنما هي رموز وأشياء وأظلال للمسيح.

فلا داع للفصح اليهودي بعد أن ذبح المسيح لأجلنا «لأن فضحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا. إذا لبُعِدَ، لَيْسَ بِحَمِيرَةٍ عَيْبَةٍ، وَلَا بِحَمِيرَةِ الشَّرِّ وَالْحَيْثُ، بَلْ بِفَطِيرِ الْإِحْلَاصِ وَالْحَقِّ» (١ كو ٥: ٧ و٨).

ولا داع للكهنوت الموسوي بعد أن تبوأ المسيح نفسه مركز الوساطة بين الله والناس «فإن التأموس يُقِيمُ أَنَا سَابِ بِهَمِ ضَعْفَ رُؤْسَاءِ كَهَنَةٍ. وَأَمَّا كَلِمَةُ الْقَسَمِ الَّتِي بَعْدَ التَّامُوسِ فَتُقِيمُ أُنْبَاءَ مُكَمَّلًا إِلَى الْأَبَدِ» (عب ٧: ٢٨).

ولا داع لإقامة الأقداس التي يقدم فيها الكهنة الذبائح الدموية بعد أن دخل المسيح إلى السماء عينها ليراعي ويشفع فينا «وَأَمَّا الْمَسِيحُ، وَهُوَ قَدْ جَاءَ رَيْسَ كَهَنَةٍ لِلْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ، فَبِمَا لَمْ يَكُنْ الْأَعْظَمُ وَالْأَكْمَلُ، غَيَّرَ الْمَسْنُوعَ بِيَدِهِ، أَي الَّذِي لَيْسَ مِنْ هَذِهِ الْخَلِيقَةِ. وَلَيْسَ بِدَمِ ثِيُوسٍ وَعُجُولٍ، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الْأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا» (عب ٩: ١١ و١٢).

ولا داع لجميع أنواع الذبائح الدموية بعد أن تمت ذبيحة المسيح الكاملة «لأنه لا يمكن أن دم ثيرانٍ وثيوسٍ يرفع خطايا... نحن مُقَدِّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً» (عب ١٠: ٤-١٠).

فشكر الله لأننا لم نأت «إلى جبلٍ مُلْمُوسٍ مُضْطَرِمٍ بِالنَّارِ، وَإِلَى صَبَابِ وَظَلَامٍ وَرُوعَةٍ، وَهَتَافِ بُوقٍ وَصَوْتِ كَلِمَاتٍ، اسْتَعْفَى الَّذِينَ سَمِعُوهُ مِنْ أَنْ تَرَادَ لَهُمْ كَلِمَةٌ» بل أتينا «إلى وَسِيطِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ: يَسُوعَ، وَإِلَى دَمِ رَشِّ تَكَلُّمِ أَفْضَلِ مَنْ هَائِلٍ» (عب ١٨: ١٨-٢٤).

و - أساس العهد الجديد

كانت العلامة بين الله وبني إسرائيل في العهد القديم هي دم الذبيحة خر ١٢: ١٣ وأما العلامة الآن بين الله والناس في العهد الجديد فهي دم المسيح مت ٢٦: ٢٨.

فالصليب هو أساس العهد الجديد. والصليب هو سر وحدة الكنيسة الذي ربط شعوب البشر المختلفة برباط الحب الواحد فلم يبق تحت الصليب فارق بين يهودي وأممي ولا تمييز بين عبد وحر.

كقوله «وَلَكِنْ الْآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا بَعِيدِينَ صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ. لِأَنَّهُ هُوَ سَلَامُنَا، الَّذِي جَعَلَ الْإِنْتَيْنِ وَاحِدًا، وَتَقَضَّ حَائِطَ السَّبَاطِ الْمَتَوَسِّطِ أَي الْعَدَاوَةِ. مُبْتَطَلًا بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فِرَاطِضٍ، لِكَيْ يَخْلُقَ الْإِنْتَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا، صَانِعًا سَلَامًا، وَيُضَالِحُ الْإِنْتَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللَّهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلًا الْعَدَاوَةَ بِهِ. فَجَاءَ وَبَشَّرَكُمْ بِسَلَامٍ، أَنْتُمْ الْبَعِيدِينَ وَالْقَرِيبِينَ» (أف ١٣: ١٧).

والصليب هو موضوع رسالة الكنيسة وليس لديها شيء آخر غيره تقوله للعالم «لَمْ أَغْزَمُ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئًا يَتَنَكَّمُ إِلَّا يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مُضَلُوبًا» (١ كو ٢: ٢).

والصليب هو قاعدة فرائض الكنيسة وليس بها خدمة واحدة إلا وتختص به.

فنحن نمارس المعمودية للاعتراف بموت المسيح وقيامته «مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُفْتَنَّمُ أَيْضًا مَعَهُ بِإِيمَانٍ عَمَلٍ اللَّهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ» (٢ كو ١٢: ١).

ونمارس العشاء الرباني لنذكر موت الرب وقيامته إلى يوم مجيئه «كَأَسْ نَبْرَكَةَ اللَّهِ الَّتِي نُبَارِكُهَا، أَلَيْسَتْ هِيَ شَرَكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ؟ الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ، أَلَيْسَ هُوَ شَرَكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟ فَإِنَّا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَوَاحِدٌ، جَسَدٌ وَوَاحِدٌ، لِأَنَّنَا جَمِيعًا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ» (١ كو ١٠: ١٦ و١٧).

«فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هَذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هَذِهِ الْكَأْسَ، تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ» (١ كو ١١: ٢٦).

ز - لغز العالم الحاضر

وان بولس الرسول قد نوه في رسائله عن مدى تأثير الكرازة بالصليب على كل من اليهود والأُم والمسيحيين، فقال «لأن اليهود يسألون آيةً، واليونانيين يتطلون حكمةً، ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً: لليهود عثرةً، ولليونانيين جهالةً! وأما للمدغونين: يهوداً ويونانيين، فالمسيح قوة الله وحكمة الله. لأن جهالة الله أحكم من الناس! وضعف الله أقوى من الناس!» (١ كو ١: ٢٢-٢٥).

والناس بالنسبة للصليب نوعان مخلصون وهالكون.

فالصليب عند الهالكين جهالة ولأنهم لا يعرفون معنى الصليب فهم يُعتبرون أعداءه ويستحقون كل إشفاق ورتاء «لأن كثيرين يسبون بمن كنت أذكركم لكم مراراً، والآن أذكركم أيضاً باكياً، وهم أعداء صليب المسيح، الذين نهايتهم الهلاك، الذين إلهتهم بطنهم ومجدتهم في خزيهم، الذين يفتكرون في الأوصيات» (في ٣: ١٨ و١٩).

والصليب عند المخلصين حكمة الله وقوة الله ومن دواعي فخرهم أن ينادوا به ويشرحوا مجده لكل الناس.

قال بولس الرسول «لأنني لست أستحي بإنجيل المسيح، لأنه قوة الله للإخلاص لكل من يؤمن» (رو ١: ١٦).

٦ - مخطوطات زعيم الجورايين «أطلب إلى الشيوخ الذين يتنكم، أنا الشيخ ريفيقهم، والشاهد لآلام المسيح، وسربك الحجد العتيد أن يغلن» (١ بط ٥: ١).

إن بطرس الرسول لما أنبأه المسيح بموته قال له بعقليته اليهودية «حاشاك يا رب! لا يكون لك هذا!» (مت ١٦: ٢٢).

ولكن لما شاهد آلام سيده وفرح برؤياه بعد قيامته واستنار ذهنه بنور الروح القدس كان الشاهد الحي بلسانه وقلمه ودمه.

وبالاطلاع على رسالتيه الجامعتين نجد أنه قد كتب عن صلب المسيح فأرز الحقائق الآتية:

إن الصليب هو موضوع المشورات الأزلية «دَمِ الْمَسِيحِ، مَعْرُوفاً سَابِقاً قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، وَلَكِنْ قَدْ أُظْهِرَ فِي الْأَزْمِنَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ أَجْلِكُمْ» (١ بط ١: ١٩ و ٢٠).

وإن الصليب هو موضوع نبوات الأنبياء «بِأَحْيَانٍ أَيُّ وَقْتٍ أَوْ مَا الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ يَدُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الْمَسِيحِ الَّذِي فِيهِمْ، إِذْ سَبَقَ فَشْهَدَ بِالْأَلَامِ الَّتِي لِلْمَسِيحِ وَالْأَمْجَادِ الَّتِي بَعْدَهَا» (١ بط ١: ١١).

وإن بالصليب قد تمت الذبيحة النبوية التي بها قد تقربنا إلى الله «فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارِّ مِنْ أَجْلِ الْأَثْمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللَّهِ، مُتَمَاتاً فِي الْجَسَدِ وَلَكِنْ مُخَبِّئاً فِي الرُّوحِ» (١ بط ١: ١٨: ٣).

وإن بالصليب ظهرت رحمة الله التي ولدتنا ثانية للميراث السماوي «مُبَارَكُ اللَّهِ أَبُو رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةَ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَائِهِ خَيْرِيٍّ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الْأَمْوَاتِ، لِمِيرَاثٍ لَا يَفْنَى وَلَا يَبْتَدُنُّ وَلَا يَضْمَحَلُّ، مَحْفُوظٍ فِي السَّمَاوَاتِ لِأَجْلِكُمْ» (١ بط ١: ٣ و ٤).

وإن بالصليب طهرنا وقد استننا «الْمُخْتَارِينَ بِمُقْتَضَى عِلْمِ اللَّهِ الْأَبِّ السَّابِقِ، فِي تَقْدِيسِ الرُّوحِ لِلطَّاعَةِ، وَرَشِّ دَمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (١ بط ١: ١ و ٢).

وإن الصليب هو المثل الأعلى للتسامح «لِأَنَّكُمْ لِهَذَا دُعِيتُمْ. فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ لِأَجْلِنَا، تَارِكاً لَنَا مِثَالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِهِ. الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيئَةً، وَلَا وَجَدَ فِي قَلْبِهِ مَكْرًا، الَّذِي إِذْ شَتِمَ لَمْ يَكُنْ يَسْتَمِعْ عَوَضاً وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَهْدُدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يُقْضِي بِعَدْلٍ. الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسَهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشْيَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَتَحْيَا لِلرَّبِّ. الَّذِي بِجِلْدَتِهِ شَفِيتُمْ» (١ بط ٢: ٢١-٢٤).

وإنه لجميل من بطرس عندما أخذه عسكر نيرون ليُصلب خارج أسوار رومة أن يقول لست مستحقاً أن أُصلب مثل سيدي وطلب أن يُصلب منكس الرأس إلى أسفل الصليب.

٧ - كتابة شاهد عيان

«وَالَّذِي عَايَنَ شَهِدًا، وَشَهِدَتْهُ حَقًّا، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ لِتُؤْمِنُوا أَنْتُمْ» (يو ١٩: ٣٥).

إن يوحنا الرسول كان وافقاً مع المسيح في كل أدوار محاكمته وصلبه وموته ودفنه وقد كلمه المسيح من على الصليب أن يأخذ والدته السيدة العذراء إلى خاصته.

وهو لا ينسى أبداً ما رآه من دم وماء يجريان من جنب المسيح المطعون فكتب قائلاً «هَذَا هُوَ الَّذِي أَتَى بِمَاءٍ وَدَمٍ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ» (١ يو ٥: ٦).

وقال أيضاً «وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ آتِيهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ» (١ يو ١: ٧).

وإن يوحنا كتب ثلاث رسائل وسفر الرؤيا بالإضافة إلى إنجيله.

فمن الكفارة يقول «وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الْأَبِّ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ، وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا قَطْعٌ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضاً» (١ يو ٢: ١-٢).

وعن القدوة الصالحة يقول «بِهَذَا قَدْ عَرَفْنَا الْحَيَّةَ: أَنَّ ذَلِكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا، فَتَحُنُّ يَتَّبِعِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نُفُوسَنَا لِأَجْلِ الْإِخْوَةِ» (١ يو ٣: ١٦).

وقال أيضاً «فِي هَذَا هِيَ الْحَيَّةُ: لَيْسَ أَنْتَا نَحْنُ أَحَبِّينَا إِلَهًا، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبُّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا. أَيُّهَا الْأَجْبَاءُ، إِنْ كَانَ إِلَهُ قَدْ أَحَبَّنَا هَكَذَا، يَتَّبِعِي لَنَا أَيْضاً أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا» (١ يو ٤: ١٠ و ١١).

وفي سفر الرؤيا يذكر لكناثس آسيا أن ربنا يسوع صُلب في المدينة الفاجرة كسدوم والقاسية كصمر رؤ ١١: ٨.

وأنه هو الذي جعونه رؤ ١: ٧

وهو البكر من الأموات رؤ ٥: ٥

وهو الحروف المذبح رؤ ٦: ٥ و ١٢

وهو الذي دُبح واشترانا لله بدمه رؤ ٩: ٥، ١٣: ٨ وهو الذي غسلنا من خطايانا بدمه رؤ ١: ٥

وهو الذي كان ميتاً فعاش رؤ ٢: ٨

ونحن قد غسلنا ثيابنا وبيضناها في دم الحروف رؤ ١٤: ٧

وقد غلبنا الشيطان بدم الحروف رؤ ١٢: ١١

وفي كل هذا قد سجل يوحنا أن المسيح صُلب وأنه هو الذبيحة الوحيدة لعهد السلام العهد الجديد.

هذا ولا يخفى على القارئ الفطن أن كيان النهر هو من المياه التي تجري فيه. هكذا الإنجيل قوامه وملؤه هو الخبر الطيب عن الصليب كما رأيت.

فليس علينا إذاً إلا أن ننهل من تعاليمه العذبة ونحيا بها.

قال القرآن «وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» (سورة المائدة ٥: ٤٧).

الباب الثالث شهادة القرآن

إن المسلم النزيه الذي يطالع القرآن من أوله إلى آخره بإخلاص تام يعتقد أن المسيح هو كلمة الله وهو روح الله حل في مريم العذراء المطهرة والمصطفاة والمفضلة على نساء العالمين وولد منها من غير زرع بشر.

وعاش قدوساً بلا شر ولم يمسه الشيطان ولم يخطئ قط.

وتأيد بالروح القدس وبالبينات، ولعلاقته بإذن الله علاقة سرية غير محدودة كان يعلم الغيب، ويخلق الطير، ويطهر الأبرص، ويرى الأكمه ويقوم الموتى، ويرزق الجياع بطعام من السماء.

وهو آية ورحمة للعالمين، وهو صاحب الإنجيل أي البشرية الطيبة للبشر.

وقد كفر به اليهود، واعترفوا بأنفسهم أنهم صلبوه، وأنه قد مات وأنه قد بُعث حياً، وأنه رُفع إلى السماء.

وهو الوجيه والشفيع في الدار الآخرة، وسيأتي ثانياً للحكم، ومجيئه علامة الساعة وانقضاء العالم واستعلان الأمجاد السماوية.

ولكن يؤسفنا جد الأسف أن البعض عن جهل تام ينكرون صلب المسيح مع أن حقيقة الصلب ظاهرة كظهور الشمس في رابعة النهار.

وهاكم الأدلة البينة عن موت المسيح من نفس القرآن:

١ - اعترافات القرآن بموت المسيح قال القرآن «إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (سورة آل عمران ٣: ٥٥).

وقال أيضاً «وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» (سورة المائدة ٥: ١٧).

وقال أيضاً «وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا» (سورة مريم ١٩: ٣٣).

فهذه ثلاث آيات صريحة تقطع بأن المسيح توفي ومات، وُبعث حياً، وُرفِعَ إلى الله.

قال البيضاوي في تفسير آل عمران ٣: ٥٥ يا عيسى أني متوفيك «وقيل أماته الله سبع ساعات ثم رفعه إلى السماء وإليه ذهب النصراري... ورافعك إلي - إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي».

قال محمد بن اسحق «إن معنى متوفيك مميتك» تفسير الرازي جزء ٢ ص ٤٥٧-٤٥٨).

وقال وهب توفي المسيح ثلاث ساعات.

وقا ابن اسحق توفي سبع ساعات ثم أحياه الله ورفع.

وقال الربيع ابن أنس إن الله توفاه حين رفعه إلى السماء.

آية الصلب

ولكن بعض المسلمين ينكرون صلب المسيح نظراً لفهمهم خطأ قول القرآن: «وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ

مِنْ عِلْمِ الْإِتِّبَاعِ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا» (سورة النساء ٤: ١٥٧ و ١٥٨). ولكننا مع التأمل والتدقيق نعتبر هذه الآية برهاناً آخر على صلب المسيح ونظراً لما انطوت عليه من شتى المعاني الجليلة السامية وإليك بعضها:

المعنى الأول

إن في هذه الآية اعتراف صريح من اليهود أنهم قتلوا المسيح وصلبوه وهم يرسلون القول باستهزاء وعن شماتة وتبجح. وهذه الآية تضرب بكرائهم عرض الحائط لأنها تبين أنهم بصلبهم المسيح لم يصلوا إلى هدفهم المنشود ولم ينالوا غرضهم المطلوب إذ أقامه الله وفوت عليهم ما انتوه به من إعدام وما ظهر لهم في صلبه أنه الهزيمة الماحقة.

فشبه لهم (أمر القتل) كما أسنده البيضاوي في بعض تأويلاته. وتصوروا في مخيلتهم أنهم أحكموا الكيد له. ولكن ذهب كيدهم وطاش سهمهم إذ عاد المسيح حياً ورفع الله إليه. فعلا ذكره وعظم شأنه وانتشرت تعاليمه. وجعل الله الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة.

المعنى الثاني

إن اليهود ما قتلوا المسيح وما صلبوه بأنفسهم لأنهم كانوا تحت الحكم الأجنبي وقد قالوا للوالي الروماني «لَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَقْتُلَ أَحَدًا» (يو ١٨: ٣١). فهم أنفسهم لم يقتلوا المسيح بل الرومانيون هم الذين قتلوه بتحريض من اليهود.

وبإزاء هذا لم يكن الموت هو الضربة القاضية على المسيح بل كان المسيح بقيامته من الموت كاشفاً لعجز اليهود ولاغياً لكيدهم.

المعنى الثالث

إن الشهداء الذين ماتوا فعلاً في ميدان الجهاد يؤكد القرآن نفي الموت عنهم لوجودهم أحياء في العالم الآخر كقوله «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» (سورة آل عمران ٣: ١٦٩).

فكذلك المسيح مع أنه صُلب فعلاً ولكن القرآن يؤكد نفي الموت عنه لنجاته منه بالقيامة في اليوم الثالث.

المعنى الرابع

إن صلب المسيح وإن يكن قد تم بيد بشرية أئيمة ولكنه ما كان ليتم وينفذ إلا بمقتضى مشورة الله ومحبته للبشر.

فما قتله اليهود وما صلبوه ولكن الله بذله فداء ورحمة للعالمين ثم رفعه إليه.

وقد جرى هذا الاصطلاح في القرآن كقوله «فَلَمَّ

تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى» (سورة الأنفال ٨: ١٧).

المعنى الخامس

بديهي أن اللاهوت لا يموت فتحن نؤكد عدم موت المسيح وذلك باعتبار لاهوته ولكننا نؤمن بصلبه وموته باعتبار ناسوته. مع أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين.

قال البيضاوي في تفسير «وإن الذين اختلفوا فيه» - في شأن عيسى عليه الصلاة والسلام فإنه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود إنه كان كاذباً فقتلناه حقاً... وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت.

والقارئ المنصف يرى أن هذه المعاني هي التفسير الصحيح الذي لا مراء فيه. أما القول إن الله ألقى شبه عيسى على رجل آخر وصلبوه عوضاً عنه فهو قول هراء.

لأنه ما الداعي لإلقاء الشبه؟

وما منفعة للمسيح إن كان سيرفع؟

وما منفعة لله أن يظهر كمخادع؟

وما منفعة للقتيل وهو يظلم؟

وما منفعة لليهود إلا تمكينهم من الاستمرار في مواصلة غيهم؟

وما منفعة للناس إلا قلب الأوضاع وتغيير الحقائق؟

ألا تترزعزع ثقنتنا في معارفنا الذين نعاملهم لأنهم ربما يكونون أشباه لغيرهم ولا نقدر أن نتميزهم بحجة جواز وقوع الشبه؟

تفسير الرازي

لقد أصاب الإمام الرازي كبد الحقيقة في تفسيره حيث قال:

«شبه - مسند لماذا؟ إن جعلته مسنداً إلى المسيح فهو مشبه به وليس بمشبه. وإن أسندته إلى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر.

وإن جاز أن يقال أن الله تعالى يلقي شبه إنسان على آخر فهذا يفتح باب السفسطة.

فإننا إذا رأينا زيدا فلعله ليس يزيد ولكن ألقى شبه زيد عليه. وعند ذلك لا يبقى النكاح والطلاق والمملك موثوقاً به.

وأيضاً يقضي إلى القدح في التواتر. لأن خير التواتر يفيد العلم بشرط انتهائه في الآخر إلى المحسوس. فإذا جوزنا حصول مثل هذه الشبهة في المحسوسات توجه الطعن في التواتر. وذلك يوجب القدم في جميع الشرائع. وليس لمجيب أن يجيب عنه. تفسير الرازي جزء ٣ ص ٣٥٠.

والحقيقة الظاهرة أن الإمام الرازي لم يجد جواباً قاطعاً ولا حلاً شافياً في آراء الذين يتشككون في صلب المسيح فقال بالنص «اختلفت مذاهب العلماء في هذا الموضوع وذكروا وجوهاً... وهذه الوجوه متعارضة متدافعة والله أعلم بحقائق الأمور» تفسير الرازي جزء ٣ صفحة ٣٥٠.

وإن كان الله يقصد كزعم بعضهم أن يخلص المسيح من الصلب لكان بالأولى خالصه بمعجزة قاهرة ونجاه من أيدي اليهود مظهراً عدم مقدرتهم على إيصال الأذى إليه.

ولكن المعجزة التي يتوهم بعض المسلمين إتمامها لتخليص المسيح لم تفد الفائدة المطلوبة عما فيها من غش الذي لا يمكن صدوره من الله لأنها لم تظهر لليهود قدرته وعجزهم.

وإذا كان الله رأى أن الصليب مخل بشرفه الأقدس أفيعقل أنه عمل معجزة تظهر احتقاره فعلاً مع أنه رفع المسيح إليه كي ينفي ذلك الاحتقار المزعوم؟

٢ - إهانة الأشرار لله

ولماذا يحاول المسلم ألا يعترف بوقوع الإهانة على المسيح؟ أليس أن الشر أمر قائم في الأرض بين الناس؟ أو ليس البشر دائماً أبداً ضد البر؟

أو ليس الله نفسه عرضة للإهانة من البشر الجاهلاء؟ ألم يعترف القرآن أن الناس يتعدون على الله تعالى حتى يسخط ويغضب ويتنقم؟

لقد جاء في القرآن صريحاً أن الناس:

احتقروا الله!

«وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» (سورة الزمر ٣٩: ٦٧).

وقال البيضاوي «ما قدروا عظمتهم في أنفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شركاء ووصفوه بما لا يليق».

وخاصموا الله!

«ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (سورة الحشر ٥٩: ٤).

وأهانوا الله!

«مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً» (سورة نوح ١٣: ٧١).

وقال البيضاوي «لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه».

ونسبوا لله الفقر!

«لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فقيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَّكُنْ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمْ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ دُوفُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ» (سورة آل عمران ٣: ١٨١).

وتنسوا لله الجهل!

«يُحَادِثُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ» (سورة البقرة ٢:٩).

قال البيضاوي «خدعتهم أنفسهم حيث حدثتهم بالأمانى الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا تخفى عليه خافية».

وتنسوا لله الضعف!

«وَذَا الثَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» (سورة الأنبياء ٢١:٨٧).

وتنسوا لله الهزيمة!

«وَطَنُوا أَنَّهُمْ مَا نَعْتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا» (سورة الحشر ٥٩:٢).

قال لي أحدهم يحتمل أن الله يظهر في الجسد كما ظهر في النار لموسى وهو قادر على كل شيء ولكن كيف أصدق أنه يُصلب؟

فقلت له لو قيل أن الله تجسد ولم يُصلب لكانت هذه العبارة غير معقولة.

لأننا نفهم بالعقل أنه إذا ظهر الله في الجسد واحتك بالناس فمن جهلهم وشهم يتناولون عليه بالأذى. وهو لسموه وعطفه يحتمل آذاهم.

ففي صلب المسيح إعلان لحقيقة طبيعة الإنسان الشريفة وحب الله الغير محدود.

٣ - قتل الأنبياء

أليس أن الأنبياء نظراً لكمالهم وبسالتهم في الحق قد قتلوا وماتوا شهداء؟

فالموت لم يكن لهم هواناً بل زاد من كرامتهم وقد اعترف القرآن بذلك في مواضع كثيرة. وهاكم بعضها:

الآية الأولى

«وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَتَكْفِرُونَ» (سورة البقرة ٢:٨٧).

الآية الثانية

«ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أُنِيبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ اللَّهِ وَحَبَلَ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ» (سورة آل عمران ٣:١١٢).

الآية الثالثة

«قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» (سورة البقرة ٢:٩١).

الآية الرابعة

«الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدٌ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى

انظر الأرض فهل في الأرض حب وإحاءة

نسي القوم وصاياك وضلوا وأساءوا

وكما باعوك يا منقذ بيع الأبرياء

يا قوباً لم يهن يوماً عليه الضعفاء

وضعيفاً واسمه يصرع منه الأقوياء

عجب فديتك المثلى وفي القول عزاء

ألهذا العالم الشريراً ضاع الغداء

٤ - نحر القرابين

قال القرآن «فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (سورة المائدة ٥:٣٠).

وقد أوضح القرآن هذه الوسيلة في قوله «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوفَةَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ» (سورة الكوثر ١٠٨:٢).

وقال البيضاوي «إن النحر هو الذبح».

ومعلوم أن عادة التقرب إلى الله بواسطة الذبائح هي فريضة دينية أمر الله بها آدم وتعترف بهذه الفريضة جميع الأمم والملل.

قال القرآن «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ» (سورة الحج ٢٢:٣٤).

وقال البيضاوي «أي لكل أهل دين جعلنا قرباناً يتقربون به إلى الله وقوله - ليدذكروا اسم الله كثيراً على ما رزقهم من بهيمة الأنعام - أي عند ذبحها وفيه تشبيه على أن القربان يجب أن يكون نعماً - وقوله - بشر الخبثين أي المتواضعين».

والقرآن قص علينا قصصاً كثيرة عن الذين تقربوا إلى الله بالذبائح مما ورد ذكرهم في التوراة. وأمر المسلمين أنفسهم أن يتقربوا لله بتقديمها.

١ - ذبيحة هابيل

كان هابيل أول إنسان من أولاد آدم تقرب إلى الله بذبيحة فقبله تعالى ورضي عنه. وأما قابيل أخوه فلما أراد أن يتقرب بغير ذبيحة أي حنطة رفضه الله مع تقدمته (تك ٤:٣-٥).

فكانت الذبيحة للإنسان البدائي درساً عملياً فيه يعرف أنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة (عب ٩:٢٢).

وإنه يجب على المذنب أن يؤمن بمجيء الفادي الإلهي الذي سيكفر عنه.

قال القرآن «وَأْتَى عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ» (سورة المائدة ٥:٢٧).

٢ - ذبيحة إبراهيم

وكذلك إبراهيم لما امتحنه الله بأن يذبح ابنه

يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (سورة آل عمران ٣:١٨٣).

الآية الخامسة

«وَأْتَى عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيْ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ» (سورة المائدة ٥:٢٧-٣٠).

والآية السادسة

«وَقَتَلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ» (سورة آل عمران ١٨١:٣).

جاء في الحديث «كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل».

وقال البيضاوي في تفسير آية ٨٧ من سورة البقرة «قتلوا زكريا ويحيى ومحمد سمواله الشاة».

فماذا يعتبر الأخ المسلم موت نبيه محمد مسموماً بيد امرأة يهودية؟ أكان ذلك شرفاً أم عاراً؟

إذاً لا يظن أحد أن القوة والكرامة والعظمة في دفع الأذى بالأذى ورد العدوان بالعدوان ولكن القوة الأدبية والكرامة والعظمة الحقيقية إنما في ملافة السبئية بالحسنة والصبر إلى النهاية في احتمال الآلام حتى تؤثر الحجة الصابرة في المسيء وتحوله عن الخطأ وتصيغ منه صديقاً مخلصاً حقيقياً. إن

الشجاع هو الجبان عن الأذى

وأرى الجريء على الشرور جباناً

قال القرآن «وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حُظٍّ عَظِيمٍ» (سورة فصلت ٤١:٣٤ و٣٥).

وهذا هو ما فعله المسيح، فقد تحمل أذى البشر لينقذهم من خطاياهم ويدفع قلوبهم إلى المحبة والإخلاص. وما كان ضعفه إلا سر قوته في نشر آية المحبة.

قال الرسل الحواريون «نَحْنُ نُحِبُّهُ لِأَنَّهُ هُوَ أَحَبُّنَا أَوْلَى» (١ يو ٤:١٩).

وقال شوقي أمير الشعراء:

ولابت إلا كابن مريم مشفقاً

على حدسى مستغفراً لعداتي

وقال الشيخ علي محمود (في قصيدة نشرها بالأهرام بتاريخ ٢٥ ديسمبر ١٩٤٢) مخاطباً

المسيح:

أيها المبعوث لا ضنت برجعك السماء

في الليلة التي خرج فيها بنو إسرائيل من مصر اجتاز الملاك المهلك وقتل كل بكر في مصر من بكر فرعون الجالس على العرش إلى بكر الأسير الجالس على الرحى.

وأما بنو إسرائيل فذبحوا حسب أمر الله شاة في كل بيت ووضعوا من دمها على العتبة العليا والقائميتين ولما اجتاز الملاك المهلك رأى الدم وعبر عنهم.

وأمر الله بني إسرائيل أن يقيموا من عبور الملاك المهلك عن أولادهم عيداً سنوياً يذبحون فيه خروف الفصح أو العبور.

وأوصى الله أن يقول رب العائلة في كل عيد هذه العبارة «وَكَانَ لَمَّا تَقَسَّى فِرْعَوْنُ عَنْ إِطْلَاقِنَا أَنَّ الرَّبَّ قَتَلَ كُلَّ بَكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ، مِنْ بَكْرِ النَّاسِ إِلَى بَكْرِ الْبَهَائِمِ. لِذَلِكَ أَنَا أَذْبَحُ لِلرَّبِّ الذُّكُورَ مِنْ كُلِّ فَاتِحِ رَجْمٍ، وَأَفْدِي كُلَّ بَكْرٍ مِنْ أَوْلَادِي» (خروج ١٣: ١٥).

وما يماثل ذبيحة الفصح عند اليهود ذبيحة العقيقة عند المسلمين التي يذبحونها في اليوم السابع للمولود فدية له.

جاء في صحيح البخاري جزء ٣ ص ٦٦ «قال رسول الله ص مع الغلام عقيقة (أي شاة) فاهرقوا عنه دماً واميطوا عنه الأذى».

وجاء في تنوير القلوب في معاملة غلام الغيوب ٢٤٧ «وأما العقيقة للمولود فهي سنة مؤكدة تذبح وقت طلوع الشمس في اليوم السابع».

وجاء في مختار الصحاح «العقيقة أي الشعر الذي يولد عليه كل مولود من الناس والبهائم ومنه سميت الشاة التي تذبح عن المولود يوم اسبوعه عقيقة».

ويقولون عند ذبح العقيقة «اللهم هذه عقيقة ابني.. دمها بدمه ولحمها بلحمه وعظمها بعظمه وجلدها بجلده وشعرها بشعره. اللهم اجعلها فداء لابني من النار. إني وليت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين. إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. الله منك ولك. باسم الله والله أكبر».

وبديهي أن هذه العقيقة إن هي إلا إشارة قوية للمسيح الذي فداننا من الهلاك.

ولهذا يقول الإنجيل «لأنَّ فَصْحَنَا أَيْضاً الْمَسِيحُ قَدْ ذُبِحَ لِأَجْلِنَا» (١ كو ٥: ٧).

قال القرآن «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ

للبلع ذبيحة وهو يقدم لله ذبيحة والإله الذي يجب بنا تلتهم الذبيحة يكون هو الإله الحقيقي.

فصرخ أنبياء البعل للبلع طالبين أن ينزل ناراً علامة لقبول ذبيحتهم فلم يكن صوت ولا مجيب.

وأما إيليا فصلى إلى الله ليؤمن من الشعب فجاءت النار والتهمت الذبيحة. فسجد كل الشعب وقالوا الرب هو الله الرب هو الله الرب هو الله.

وهذه الذبيحة تمثل المسيح الذي علق على الصليب وذاب قلبه ألماً كالشمع في وسط أحشائه.

وقد أوصى القرآن المسلمين أن يقدموا الذبائح تقرباً لله وقت فريضة الحج وأن يذكروا اسم الله عليها قائلين «الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر، اللهم منك وإليك».

ويعتبر القرآن أن إقامة هذه الشعائر هي من تقوى الله وتعود بالمنافع الدينية والدنيوية على مقدمها.

قال القرآن «وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ (أي القربان والذبيحة) وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ» (سورة البقرة ١٩٦: ٢).

وقال أيضاً «لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ» (سورة الحج ٢٨: ٢٢).

وقال أيضاً «وَالْبُدْنَ جَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ (قائمات قد صفتن) فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا (سقطت وماتت) فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاكُمْ لِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا وَلَكِنْ يَبَالُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْحَسِينِينَ» (سورة الحج ٣٦: ٣٧).

وجاء في كتاب إحياء العلوم الدين للغزالي ص ٢٤٣ «روى البزار وأبو الشيخ عن أبي سعد قال: قال رسول الله ص يا فاطمة قومي إلى أضحتك فاشهديهما فإن لك بأول قطرة من دمها أن يغفر لك ما سلف من ذنوبك».

والعقل النير يرشدنا إلى أن ألوف الذبائح لا تنفعنا قط في التقرب إلى الله وفي رفع ذنوبنا ونوالك رضوانه إلا أنها تشير إلى المسيح «حمل الله رافع خطية العالم» (يو ١: ٢٩).

اسحاق فأطاع وصعد به إلى جبل الربا. ولما هم لذبحه ناداه الله قائلاً لا تمد يدك إلى الغلام. فرجع عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممكساً في الغابة بقرنيه. فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عنه (تك ١٠: ٢٢-١٤).

وكان هذا الكبش عنوان الفداء. قال القرآن «وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ» (سورة الصافات ١٠٧: ٣٧).

والذبح في ذاته حيوان لا عظمة فيه وإنما هو عظيم لما فيه من اعتبار الرمز لفادي البشر الذي أرسله الله رحمة للعالمين.

وكذلك موسى أمره الله أن يقدم ذبيحة وبشترط أن تكون بقرة حمراء صحيحة لا عيب فيها لم يعل عليها نير فيذبحها ويحرقها ويحفظ رمادها.

وكل إنسان يتنجس بملامسة ميت أو قبر يأتي إلى الكاهن فيرش عليه ماء مخلوطاً ببعض رماد البقرة يطهر (عد ١٩: ١-٢٢).

وكان هذا رمزاً ودرساً تعليمياً في أن الإنسان الذي يتنجس ضميره بارتكاب الخطايا المميتة لا يطهر إلا بإيمانه بدم المسيح الكريم (عب ٩: ١٣ و ١٤).

والقرآن جاء بخبر هذه الذبيحة التي سُميت أول سورة بها أي سورة البقرة وقال إن الميت إذا ضرب ببعضها يحيى. والمسيح هو الذبيح الحقيقي الكامل الذي بموته أعطانا الحياة. كما قالت التوراة «يُحْبِرُهُ شُفِينَا» (إش ٥٣: ٥).

قال القرآن «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالُوا آذُ لَنَا رَبُّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ قَالُوا آذُ لَنَا رَبُّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا لَوْنَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَشُرُّ النَّظَائِرِينَ قَالُوا آذُ لَنَا رَبُّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهُ عَائِنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِئَةَ فِيهَا قَالُوا آلَانِ جِنَّتٌ بِالْحَقِّ فَذَبِّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِعَصَاهُ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» (سورة البقرة ٦٧: ٢-٧٣).

وكذلك إيليا النبي لما جمع بني إسرائيل على جبل الكرمل في أيام الملك آخاب وحضهم ألا يعرجوا بين عبادة الله وعبادة البعل، أمر عبدة البعل أن يقدموا

مِنْ أَيَّامٍ أُخِرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ»
(سورة البقرة ١٨٣: ٢ و ١٨٤).

ويقول البيضاوي «إن الفدية هي نصف صاع من القمح وصاع من غير القمح في بلاد العراق أو في بلاد الحجاز».

ونحن نقول إن الفدية هي البدل أو العوض: فهل يفدي الله إنساناً من ذنب بالحنطة؟

أليس بالأولى أن ننظر إلى الفادي الحقيقي الذي قال «أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. مَنْ يُتَيْلِ إِلَيَّ فَلَا يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَا يَغْطَشُ أَبَدًا» (يو ٦: ٣٥).

٨ - الكفارة

قال القرآن «وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسِ بِالْنَفْسِ وَالْعَيْنِ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفِ بِالْأَنْفِ وَالْأَذُنُ بِالْأَذُنِ وَالسَّنَّةُ بِالسَّنَةِ وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ» (سورة المائدة ٤٥: ٥).

والكفارة هي التغطية أو السترة. ومعنى هذا أن الذنب لا بد له من تغطية أمام قداسة الله وعدله. فهل تعادل جريمتنا في حق الله عيناً تفتقاً أو أذناً تقطع أو سنناً تهشم؟ وهل السن أو الأذن أو العين التي تنازل عنها تجعل الله يتنازل عن ذنبي أنا ضده تعالى؟

إن الذنب في حق الله العظيم لا بد له من كفارة إلهية لا يقدر البشر أن يصنعوها.

قال الإنجيل «وَأِنْ أَحْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الْآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ ابْنًا. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا قَطُّ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ» (١ يو ٢: ١ و ٢).

فالله وحده لا الإنسان هو الذي يصنع الكفارة. قال القرآن «فَاعْفُزْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا» (سورة آل عمران ٣: ١٩٣).

وقال أيضاً «رَبَّنَا لَا تُؤْخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَحْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا نَحْمِلْ عَلَيْهِمْ إِضْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفُزْ لَنَا وَارْحَمْنَا» (سورة البقرة ٢: ٢٨٦).

٥ - بيعة النصارى

قال القرآن «وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ» (سورة الحج ٤٠: ٢٢).

ويقول البيضاوي في تفسيره «صوامع الرهبانية، وبيع النصارى وصلوات اليهود من صلوات العبرية وعربت صلوات، ومساجد المسلمين».

ومعلوم إن كل اسم من هذه الأماكن له مدلوله الخاص. فالمساجد للسجود فيها، والصلوات للصلاة فيها. والصوامع لبيان شكل مساكن الرهبان لأنها

مصمعة أي دقيقة ومحددة ورؤوسها وأعالها. والبيع لأنها متباعة ومشتراة.

فإطلاق اسم البيعة على كنيسة النصارى اعتراف صريح بصلب المسيح لأن المسيح ابتاع الكنيسة واشتراها بدمه. ولهذا سميت بيعة كما جاء ذلك في الإنجيل الذي يعرفه المسيحيون كما يعرفون أولادهم.

قال بولس الرسول «احْتَرِزُوا إِذَا لَأَنْتُمْ سِكُمْ وَجَمِيعِ الرَّعِيَّةِ الَّتِي أَقَامَكُمْ الرُّوحُ الْقُدُسُ فِيهَا أَسَاقِفَةً، لِتَرْعُوا كَنِيسَةَ اللَّهِ الَّتِي أَقْتَنَاهَا بِدَمِهِ» (أعمال ٢٠: ٢٨).

وقال أيضاً «لَأَنَّكُمْ قَدْ اشْتَرَيْتُمْ بِسَهْنٍ. فَمَجِدُوا اللَّهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمْ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ» (١ كو ٦: ٢٠).

وقال يوحنا الرسول «لَأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَأَشْتَرَيْتَنَا لِلَّهِ بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَسَعْبٍ وَأُمَّةٍ» (رؤ ٩: ٥).

وقال بطرس الرسول «عَالِمِينَ أَنَّكُمْ أَقْتَدَيْتُمْ لَا بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمْ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقْلُدُونَهَا مِنَ الْآبَاءِ، بَلْ بِدَمِ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلَا عَيْبٍ وَلَا دَنْسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ» (١ بط ١: ١٨ و ١٩).

٦ - صبغة المعمودية

قال القرآن «صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ» (سورة البقرة ٢: ١٣٨).

قال البيضاوي «صبغة الله أي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها فإنها حلية الإنسان كما أن الصبغة هي حلية المصبوغ».

أو هدايا الله هدايته وأرشدنا حجته وطهر قلوبنا بالإيمان تطهيره وسماه صبغة لأنه ظهر أثره عليهم ظهور الصبغ على الثوب وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ بالثوب.

أو للمشكلة فإن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تتحقق نصرانيتهم».

ومعلوم أن المعمودية وهي دفن الإنسان المعتمد في الماء وخروجه منه على اسم المسيح عبارة عن اعتراف الإنسان علانية بموته ودفنه مع المسيح وقيامته معه مبراً من خطاياها ليحيا حياة جديدة.

قال الإنجيل «مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِيمْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ بِإِيمَانٍ عَمَلِ اللَّهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ. وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا وَعَلَفَ جَسَدِكُمْ، أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَابِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا» (كولوسي ٢: ١٢ و ١٣).

فإشارة القرآن إلى معمودية النصارى هو اعتراف

ضمني بل اعتراف صريح بحقيقة موت المسيح وقيامته لخلاص العالم.

٧ - الحواريون

قال القرآن «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ» (سورة الصف ٤٤: ٦١).

قال البيضاوي في تفسيره «الحواريون أصفياء عيسى وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً من الحور وهو البياض».

قال القرآن أيضاً «فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ أَمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ مُسْلِمُونَ» (سورة آل عمران ٥٢: ٣).

وقال البيضاوي في تفسيره «الحواريون حواري الرجل خالصة من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحوريات للحضريات لخلوص ألوانهن سمي به اصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم».

وقال القرآن «وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي» (سورة المائدة ٥: ١١١).

فلماذا يسمى أتباع المسيح حواريين؟

ولماذا وصفوا بالبياض الناصع؟

ولماذا يدعون دائماً بالقدسين والأطهار؟

أليس ذلك البياض والتطهير هو الذي تم لهم بإيمانهم بدم المسيح المسفوك على الصليب كما هو مشهور عنهم في الإنجيل؟

قال الإنجيل «وَسَأَلَنِي وَاجِدٌ مِنَ الشُّيُوحِ: «هَؤُلَاءِ الْمُتَسَرِّبُونَ بِالثِّيَابِ الْبَيْضِ، مَنْ هُمْ وَمِنْ أَيَّنَ أَتَوْا؟» فَقُلْتُ لَهُ: «يَا سَيِّدُ أَنْتَ تَعْلَمُ». فَقَالَ لِي: «هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ أَتَوْا مِنَ الصَّبِغَةِ الْعَظِيمَةِ، وَقَدْ عَسَلُوا ثِيَابَهُمْ وَيَبِّضُوهَا فِي دَمِ الْحَمَلِ» (رؤيا ٧: ١٣ و ١٤).

أفليس في هذه التسمية المأخوذة نقلاً عن الإنجيل - حواريين - دليل ضمني بل دليل صريح على صلب المسيح وثمرته وتأثيره في سيرة وسريرة المؤمنين؟

الباب الرابع شهادة التاريخ

إن التاريخ هو مرآة الحوادث. وحادثة صلب المسيح هي واقعة قد سجلها المؤرخون المعاصرون على اختلاف أجناسهم وأديانهم ولغاتهم.

والإك في إيجاز بعضاً مما دونه التاريخ:

١ - التاريخ اليهودي

قال يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير الذي عاش سنة ٧٠ م في كتابه تاريخ الأمة اليهودية المكون من عشرين مجلداً «إن بيلاطس حكم على المسيح بالصلب بناء على إلحاح رؤساء شعبنا».

وجاء في التلمود وهو أهم الكتب الدينية بعد التوراة عند اليهود في فصل السنهدريم صفحة ٤٣ أن يسوع قد صُلب قبل الفصح بيوم واحد».

وقال إلحاحام يوحنا بن زكا تلميذ هلال الشهير في كتابه سيرة يسوع الناصري «إن الملك وحاخامات اليهود حكموا على يسوع بالموت لأنه جدف بقوله إنه ابن الله ولما كان المسيح في طريقه إلى الموت كان اليهود يصرخون أمامه فلتهلك كل أعدائك يارب».

٢ - التاريخ الروماني

واستمع إلى تاسيتوس المؤرخ الشهير الذي وُلد سنة ٢٥ م. وارتقى إلى منصب قاضي القضاة وكتب تاريخ الأباطورية الرومانية في ستة عشر مجلداً أنه يقول «إن الناس الذين كان يعذبهم نيرون كانوا يلقبون مسيحيين نسبة إلى شخص اسمه المسيح كان بيلاطس البنطي قد حكم عليه بالقتل في عهد طيباريوس قيصر».

وبين محفوظات الفاتيكان برومة خطاب كان بيلاطس البنطي قد كتبه إلى طيباريوس قيصر نقتطف منه ما يأتي نصه:

«ألقى الأوباش الهائجون القبض على يسوع ولما أنسوا عدم الخوف من الحكومة إذ كانوا زعمائهم إني جزع وفرغ من ثورتهم تبادوا على الصياح اصلبه اصلبه.. ثم طلبت وغسلت يدي أمام الجمهور مشيراً بذلك إلى استهجان عملهم ولكن لم يأت ذلك بثمرة فإن نفوس هؤلاء الأشقياء ظمأنة لقتله.. فقلت له (أي ليوسف الرامي) قد أجبت طلبك وفي الحال أمرت ماتليوس أن يأخذ بعض عساكر معه ليلا حظ ويأشر دفنه لئلا يتعرض أحد له.. وبعد ذلك بأيام قليلة وجد القبر فارغاً وأذاع تلاميذ يسوع في أطراف البلاد وأكتافها أن يسوع قام من الموت كما كان قد تنبأ».

ومما يجدر بنا ذكره أن هذا الخطاب الذي كتبه بيلاطس قد أشار إليه الفيلسوف جوستينوس سنة ١٣٩ م. والعلامة تروتيانوس سنة ١٩٦ م. في رسائلهما وأقوالهما.

٣ - التاريخ اليوناني

الثابت وقت صلب المسيح أن الظلمة اكتتفت الأرض كلها وبين الذين عاينوا هذه الظاهرة ديونيسيوس الأريوباغي من علماء أتبنا فلغوره قال «إما أن يكون خالق الطبيعة متألماً أو أن العالم أخذ في التمزق».

وإذا نظرنا إلى مؤلفي اليونان فلا بأس من أن نخص بالذكر لوسيان الذي وُلد سنة ١٠٠ م. سيما وأنه قد كان أكثرهم اطلاعاً وحرية في الرأي حتى لم يتردد في إثبات رأيه حين كتب كتابه دي مورتى بركريني إذ يقول «أن المسيحيين لا يزالون يعبدون ذلك الرجل العظيم الذي صُلب في فلسطين».

٤ - التاريخ المسيحي

للقدس أغناطيوس المعاصر ليوحنا الرسول أقوال كثيرة سجلها التاريخ وما أحسن من أن ننظر مع الإعجاب إلى قوله «إن الذين ربوا على النظامات القديمة وحل فيهم الأمل الجديد لا يحفظون اليوم السابع بل يوم الرب لأن فيه عادت إلينا الحياة وقمنا من الموت».

ويتمد بنا التاريخ إلى القرن الثاني للميلاد وهناك اكليميندس الاسكندري فما أجمل من أن نتفهم الحكمة والسداد في قوله «إن الإنسان يحفظ وصية الإنجيل حفظاً تاماً ويقدم يوم الرب تقديساً كاملاً إذا امتنع عن كل شر ومجد قيامة الرب فيه».

وفضلاً عما ذكر فهذا قانون الإيمان الذي وضعه المجمع المسكوني الأول المنعقد في مدينة أفسس سنة ٣٢٥ م. أي قبل ظهور الإسلام بثلاثة قرون وحسبنا أن نجترى مما اشتمل عليه بالعبارة التالية:

«هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس وصُلب عنا على عهد بيلاطس البنطي وتألّم وقُبر وقام من الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب وصعد إلى السموات وجلس عن يمين أبيه».

٥ - الآثار

القبر

إن القبر الذي دُفن فيه المسيح بأورشليم معروف لدى جميع الناس ومنذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا يزوره الكثيرون من مختلف الشعوب والأجناس كل عام (مت ٢٧: ٦٦-٦٦، مر ١٥: ٤٦، لو ٢٣: ٥٣، يو ١٩: ٤١، إش ٥٣: ٩).

الكفن

إن يوسف الرامي اشترى كتناً نقياً. ولف به جسد المسيح. ووضع مع هذا الكفن الحنوط التي أحضرها نيقوديموس.

ولما قام المسيح من الأموات رأى بطرس ويوحنا الأكتفان موضوعة في القبر والمندبل الذي كان على رأسه ليس موضعاً مع الأكتفان بل ملفوفاً في موضع وحده (يو ٦: ٢٠ و٧).

وقد احتفظ بهذا الكفن في بلدة تورين بفرنسا.

طوله أربعة أمتار وعشرة سنتيمترات وعرضه متر واحد وأربعين سنتيمتراً. لونه ضارب إلى الصفرة لقدم عهده.

ويرى على الكفن شبجان كشبح إنسان ميت يمثلان وجهه وظهره من رأسه إلى قدميه. وصورة الوجه تقابل صورة الظهر.

وهذه الصورة كانت تظهر بجلاء أكثر في القرن السادس عشر كما ورد وصفها في روايات المؤرخين.

وفي سنة ١٨٩٨ عرض هذا الكفن في معرض أقيم في مدينة تورين بفرنسا وقد أخذت صورة شمسية لهذا الكفن دلت على أن صورة السيد المسيح كانت قد تصورت في نسج الكفن على مثال التصوير الشمسي بمعنى أن الأقسام الناتجة في جسد المسيح كانت سوداء في الكفن والأقسام الغائرة كانت بيضاء. وصورة الكفن تبين المسامير وقد ثقت الزندين وموضع الحربة على جنبه الأيمن.

وقد فهم العلماء أن سبب طبع الصورة على الكفن هو أن المر والطيب والحنوط التي وُضعت على جسد المسيح تآثر بها الكتان فصار بمثابة الصفيحة الفوتوغرافية المهبأة للتصوير حساساً قابلاً للآثار. فلما وُضع جسد المسيح الطاهر في هذا الكفن أخذ يرسم صورة الجثة لا بقوة النور كما تتأثر الزجاج الحساسة ولكن بقوة الأبخرة المنبعثة من جسد المسيح.

واننا نشكر الله الذي قدم للعالم في العصور الحديثة أثراً يؤيد الحق المعلن في الإنجيل المبارك.

الأطياب

إن الحنوط التي أحضرها نيقوديموس ووضعها هو يوسف الرامي مع الأكتفان كانت مزيجاً من مر وعودة نحو مائة مئاً يو ١٩: ٣٨-٤٠.

وقد احتفظ الرسل بهذه الأطياب وكانوا يتسخدمونها في مسحة من يعتمد بوضع اليد عليه أع ٨: ١٧ أع ١٩: ٦ يو ٢: ٢٠ و٢٧. واعتبرت الكنيسة هذه الأطياب ذخيرة مقدسة. وكلما قاربت أن تنفذ يضع عليها البطريرك كمية كبيرة من زيت الزيتون بطقس ديني خاص. ويصرف منها حسب حاجة الكنائس.

وعلى مر السنين لكي لا تنقطع هذه الذخيرة يضع عليها أي من كان من البطارقة زيتاً جديداً.

وعلى هذا المنوال بقيت هذه المسحة التي تُسمى المبرون يسمح بها كل من يعتمد إلى اليوم.

المعموديات

نشأت المسيحية على أساس المعمودية التي تشبه القبر المملوء بالماء الذي يُدفن فيه المسيحي ويقوم على مثال موت المسيح وقيامته.

وإننا نرى المعموديات المصنوعة من الأحجار في القرون الأولى في العهد الروماني لا زالت محفوظة إلى اليوم في متاحف الآثار، ويمكن مشاهدتها في المتحف اليوناني الروماني بشارع فؤاد الأول بالإسكندرية.

٦ - العادات المتواترة

التناول

إننا منذ الليلة التي أسلم فيها المسيح للموت ورسم العشاء الرباني ونحن في كل مكان على وجه الأرض وفي كل عصر إلى هذا اليوم نتناول من الخبز ونشرب من نتاج الكرمة لنذكر موت الرب إلى أن يجيء.

وقد نوه القرآن بمزايا سر التناول في سورة المائدة حيث قال «قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَآرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» (سورة المائدة ١١٤:٥).

وبعض المستفاد من تفسير البيضاوي لهذه الآية «أن هذه المائدة كان يجتمع عليها الفقراء والأغنياء والصغار والكبار ويعتبرونها غذاء روحياً لهم على أنها رحمة لمستحقيها ونقمة لغير المستحقين وأنها تكون عيداً للمتقدمين والمتأخرين».

فنحن النصراني نعيد بهذا الغذاء الروحي ونرى أن قبولنا المسيح فادياً لنا هو قوتنا ونبع حياتنا وسر نمونا أسماً واليوم وإلى الأبد.

حفظ الأحد

وإننا منذ اليوم الذي قام فيه المسيح من الأموات وهو يوم الأحد ونحن نقديس هذا اليوم للراحة والعبادة إلى اليوم.

صوم الأربعاء والجمعة

وإننا منذ العصر الرسولي ونحن نصوم يوم الأربعاء الذي فيه اتفق يهوذا مع اليهود لتسليم المسيح. ونصوم يوم الجمعة الذي فيه تمت عملية الصلب. ولا زلنا نصوم هذين اليوميين أسبوعياً في كل أنحاء المسكونة إلى الآن.

عيد القيامة المجيد

وإنه منذ قيامة المسيح ونحن نحفظ بفرح عيد قيامة المجيدة ونظهر مباحث العيد في الفطر بعد الصوم، وإقامة قداس العيد، وإلقاء العظات المناسبة وتبادل التهاني في المنازل والمجتمعات وعلى صفحات جرائد العالم إلى يومنا هذا.

علامة المسيحية

وإنه منذ عُلق المسيح على الصليب وصار الصليب وساماً وعلامة شرف، وبه نرشم أنفسنا، ونضعه علامة على منازلنا وكنائسنا ومقابرنا ونحن نعتبر

الغداء بالصليب ضرورة للحياة الروحية كضرورة الهواء للتنفس.

٧ - الاختيار

ما الذي حدا بالتلاميذ الأولين في أورشليم وفي أهم عواصم العالم أن يحتملوا الاضطهادات المريرة ويموتوا شهداء؟

ما الذي جعل المسيحيين في القرن الأول أن يستعدوا الاستشهاد الذي ذهب ضحيته الألف على يد نيرون قيصر رومة وهم يذهبون بفرح إلى أماكن الإعدام إلا إيمانهم بالمسيح المصلوب!

وما الذي خلق من أقباط مصر ألوف الشهداء الشجعان الذين قتلوا بأمر دقلادينوس بالإسكندرية مما جعلنا نؤرخ التاريخ القبطي باسم تاريخ الشهداء؟ إن الشهداء المسيحيين في كل عصر ومصر هم شهود الصليب.

تجديد القلب

إن مشكلة قاسية تواجه كل فرد في العالم وهي كيف ينال غفران خطاياها؟ وكيف ينتصر على الخطية ويعيش عيشة القداسة؟

وهذه المشكلة وجد ألوف ألوف وملايين ملايين البشر حلها وشعروا بسلام الله الذي يفوق كل عقل وتمتعوا بقوة غير طبيعية للانتصار على الخطية والسلوك في البر بواسطة الإيمان بالمصلوب. وهنا أعلن على رؤوس الأشهاد بأنني أحد هؤلاء الذين نالهم فضل الصليب. وهذه شهادة ينطق بها الواقع تبين مجد الصليب.

التفاني في الخدمة العامة

إذا تأملنا في جغرافية الأرض وراجعنا تاريخها في كل العصور نجد أن أبطال الخدمات العامة والذين أدخلوا نظم السعادة بين الأمم هم المسيحيون.

فهم الذين هذبوا الوثنيين. وعمروا مجاهل القارات والجزر. وبنوا الإرساليات. وأنشأوا المدارس والجامعات. وأسسوا المستشفيات والملاجئ وجمعيات البر والصليب الأحمر ونشروا الكتب والمطابع والجرائد. وقاموا بالمكتشفات العلمية والمخترعات الجبارة. وخدموا الناس مخلصين غير مميزين بين لون ولون أو جنس وجنس. محتملين كل تعب وأذى على مثال المسيح الذي بذل نفسه فدية من أجل الجميع.

أفليست هذه الأعمال المجيدة هي شهادة ناطقة بل ثمرة ناضجة لصليب المسيح؟

أجل أن الصليب هو النبع الفيض للخير والسلام! أما ما نراه من حروب يندى لها جبين الإنسانية فليس من المسيح ولا من المسيحية في شيء.

وقد شهد بذلك شوقي بك أمير الشعراء حين أبرز قوة الصليب في قوله مخاطباً اللورد النبي:

يا فاتح القدس خل سيف ناحية

ليس الصليب حديداً كان بل خشباً

وفي قوله مندداً بالذين أشعلوا الحرب في البلقان

عيسى سيبك رحمة ومجبة

في العالمين عصمة وسلام

ما كنت سفاك الدما ولا أمراً

هان الضعاف عليه والأيتام

يا حامل الآلام عن هذا الورى

كثرت عليه باسمك الآلام

أنت الذي جعل العباد جميعهم

رحما وباسمك تقطع الأرحام

خلطوا صليبك والخناجر والمدى

طل أداة للأذى وحمام

وفي قوله مشيداً بعظمة الصليب الأحمر

سر يا صليب الرفق في ساح الوغي

وانشر عليها رحمة وحنانا

وادخل على الموت الصفوف مواسياً

وأعن على آلامه الإنسان

والمس جراحات البرية شافياً

ما كنت إلا للمسيح بناً

هذا - ولا يسعني في الختام إلا أن أتوجه

إلى الفادي الحبيب مناجياً بهذه الآيات:

حاشا لغيرك يا مخلص أنظر

أو أنني بسوى صليبك أفخر

روحي وما ملكت يدي لك كيفما

أحببت لي يا سيدي لا أحسر

يا ليت قومي يعرفونك بينهم

وإليك إن ناديت لن يتأخروا

طوبى الذين تعلقت أرواحهم

بك يا يسوع تمنعنا وتخبروا

أنا ما حييت وكيف شئت فإنني

في كل حال سوف باسمك أجهر

أشرق على مصر بنورك عل لا

يشكو الظلام أو الجهالة منير

أبناء وادي النيل كم ذا ابتغي

من ربة الشيطان أن يتحرروا